وتسللت إلى قلبي

بقلم

أسماء عطية


عصير
الكتب
fb.com/groups/Book.juice

اهداء

إلى الذين تركوا في القلب بصمة ورسموا على الوجه بسمة.

إلى من صدقونا الفعل قبل الكلمة

إلى من حفظوا القلوب وصانوا المحبة

طبتم وطابت ذكراكم.

أحيانا تختار أن تعيش وحدك وتحارب وحدك ليس حبا في العزلة ولكنه يأس أن تجد يوما الرفيق.

تجارب الآخرين خبرات ولكنها ليست قيود لنقيد أنفسنا بها

التجارب أبجديات قابلة للتغيير وليست نصوص مقدسة يجب اتباعها بالحرف.

كل إنسان له نكهته الخاصة لمسته المميزة وحتما ستتغير مذاق التجربة بإختلاف البشر الذين يخوضون غمارها.

لا تقل هذا حاول واخفق ولا تلك بذلت جهدها ولم يحالفها الحظ.

فقط أنزل أنت إلى ساحة المعركة مؤمنا بأن تجارب الأخرين ليست كافية لتكوين قناعات ثابتة تواجه بها العالم

كل شيء قابل للتغيير الأفكار، القناعات، المواقف.

الطبيعة نفسها تغيرت وستظل في تغيير لتواكب ظروف الحياة المختلفة حتى يرث الله الأرض ومن عليها

الاعتراف بالتغيير ليس عيبا تلام عليه وإنما الخطأ الحقيقي أن تظل متمسكا بأفكار ثبت خطؤها والعالم يتغير من حولك.

الفصل الاول
بعد الغياب

صيف القاهرة 2009
كانت الأحوال في البيت على قدم وثاق الكل يستعد لاستقبال شريف الغالي،علياء تتفقد ترتيب غرفته وتطمئن على إعداد أصناف الطعام التي يحبها

تتذكر أول لقاء لها بالرضيع الجميل ابن جارتها ،حينما ألقاه القدر في طريقها لترضعه مع صغيرتها ميرال،هذا الرضيع ذو السبعة أشهر والذي توفى والداه في حادث سيارة أليم ،حينما أتى به عمه عادل إلى عاصم زوجها يسأله عما يفعل بهذا الرضيع الباكي ،فاقترح عليه أن ترضعه زوجته مع الصغيرة ذات السبع أيام،وبعد خمسة أعوام من الانتظار صار لها طفلان ميرال الصغيرة وشريف ، ثمانية أعوام قضاها شريف في رعايتها،أيام من المرح والبراءة،شريف الطفل الحنون الذي كان يعتني بميرال ويلعب معها ويدافع عنها وكأنه يكبرها بسبع سنوات لا سبعة أشهر،ترى كيف صار بعد خمسة عشر عاما

لتقطع ميرال صمتها:

- أمي،سعيدة أنتِ لعودة شريف إلينا.

علياء بحب:

- منتهى السعادة،ابني الحبيب بين أحضاني ثانية ،لولا إصرارعمه على سفره معه إلى الامارات لما تركناه أبدا.

وماهى إلا لحظات حتى أقبل شريف بصحبة أبيها واحتضنته أمها بحب وحنان

علياء بدموع:

- كيف حالك يا صغيري؟

شريف مقبلا يديها :

- الحمد لله يا أمي ،كيف حالك أنتِ؟

علياء:

- طالما أنك بخير،أنا بخير.

ميرال بمرح:

- وأختك المسكينة التي تحبك وتخاف عليك،أنسيتها؟

واحتضنت شريف بشوق أخت لم ترَ أخاها طوال خمسة عشر سنة إلا في بعض الزيارات.

عاصم ضاحكا:

- سيبقى شريف بيننا ولكن دعوه يأكل أولا.

ضحكوا جميعا واتجهوا إلى المائدة الحافلة لاستقبال شريف.

شريف الذي اختار دراسة الطب عن حب واقتناع، دوما يحدثها عن تطلعاته للدراسة في أمريكا أو كندا

إلا أن عمه كان يرفض رحيله بعيدا عنهم خاصة أنه لم يزرقه الله بالاولاد.
ميرال بسخرية:
-كنت غير راضي يا شريف عن دراسة الطب في الامارات، ستجرب الدراسة في مصروتلاحظ الفرق.
شريف:
- عامنا النهائي،رولا، ما رأيك بقليل من التفاؤل حتى ننهي دراستنا وننطلق في اتجاه احلامنا؟
ميرال:
- هل ابدومتشائمة ؟
شريف بهدوء:
- لا يا عزيزتي ، أنتِ مستسلمة لجو الإحباط العام والاكتئاب والحزن.
ميرال بسخرية:
- وأرى العالم من خلال نظارة سوداء قاتمة وأبكي على الاطلال.
شريف ضاحكا:

- لا أيتها المشاكسة،أتعرفين يارولا السعادة تكمن في قدرتك على أن تحيا اللحظة بكل ما فيها فرح..حزن..انتصار..انكسار، تعايشي مع الواقع دون أن يقهرك أو يمحو ابتسامتك المشرقة.

ميرال بسعادة:

- كي لا تغيب ابتسامتي،أطلب من والدنا أن نذهب في رحلة للساحل الشمالى.

شريف:

- بكل سرور.

استجاب والدها لطلب شريف و مضوا في طريقهم إلى الساحل الشمالي بمياهه الزرقاء ورماله الذهبية الناعمة،أسبوع من الهدوء بعيدا عن الدراسة والزحام والصخب،أيام وليالي تمنوها طويلا،وصلوا إلى الشالية الخاص بأسرتهم في المساء بعد أن حل الظلام، استسلم الجميع للنوم بعد رحلة طويلة وبقيت ميرال على الشاطئ المواجه للشالية تستمتع بنسمات الهواء الباردة في ضوء القمر،حتى اقبل شريف مبتسما:

- المكان رائع

- أشعر بالراحة والأمان
- كما يقولون، البحر غدار
ميرال بأسى:
- أتعرف معنى الغدر؟
شريف بدهشة:
- الغدر؟
ميرال بدموع:
- في الوقت الذي تتأمل كيف تكون ابتسامة ذاك الانسان وسعادة قلبه، فرحه بما صنعت لأجله، تجده يحد خنجرا ليطعنك في ظهرك.
- أتعلمين ميرال،أتمنى التوصل إلى اختراع أنسجة قلبية متينة تتعافى من الجروح ولا تفقد قوتها على ضخ روح الحياة في صاحبها، قلوبا لا تحطمها الصدمات ولا تجهدها الصراعات، لن أقول لك انسي الماضي ولكن اجعليه كأزهار جافة في كتاب الذكريات ،كلما تجولت بين صفحاته ذكرتك بدروس الماضي الثمينة، أتعرفين أسطورة زهرة الاستر؟
ميرال بتساؤل:
- نجمية قوس قزح؟!

- تقول الأسطورة: إن إستيريا ملكة عصرها أخذت تبكي عندما نظرت إلى النجوم ولم تجد النجم الذي يستهويها، فنبتت زهرة النجمة في المكان الذي سقطت فيه دموعها، استبدلي دموعك بنجمات قوس قزح الانيقة ،كل مكان حمل دمعة ألم لابد أن تنمو مكانها نجمة أمل لتشرق الحياة بألوان قوس قزح.

....

يوم جديد من أيامه الدراسية الرتيبة، ملل يقتل شغفك تجاه العلم ..طموحك تجاه التقدم..الحياة لديهم قوالب جامدة بلا روح أو متعة أو إبداع...في طريق العودة كل يوم تعاهد نفسك أن تنسى كل ما يعكر صفوك،غريب أمرك يا شريف.. تذهب إلى الجامعة لتنسى لا لتتعلم.

شريف:

- أمي أين ميرال؟ لم أجدها بالكلية وأخبرني زملائها أنها غادرت مبكرا.

- وصلت البيت من حوالي ساعة وصعدت إلى سطح البناية بصحبة الصغيرة لوجين ابنة جيراننا ذات الثمانية أعوام.

صعدت إلى السطح ابحث عنها أجدها تصنع طائرة ورقية مع لوجين وهما يغنيان:

طيري يا طيارة طيري يا ورق وخيطان
بدي ارجع بنت صغيره على سطح الجيران
وينساني الزمان على سطح الجيران
علّي فوق سطوح بعاد ع النسمه الخجولة
أخذوني معهم الولاد وردّوا لي الطفولة
ضحكات الصبيان وغناني زمان
ردّتلي كتبي ومدرستي والعمر اللي كان
وينساني الزمان على سطح الجيران

شريف:
- ادام الله الضحكة الحلوة والصوت الجميل.
ميرال:
- شعرت بالضيق من الكلية والدراسة فقررت العودة مبكرا ووجدت لوجين في طريقي تبكي بشدة.
شريف:
- لماذا كنت تبكين يا لوجى؟

لوجين ببراءة:

- كنت أحلم بطائرة ورقية جميلة تطير بعيدا وفشلت في تحقيق حلمى.

ميرال:

- وأنا قررت أن أحقق حلمها الجميل.

لوجين:

- شكرا للكِ رولا،أنا أحبك كثيرا.

ميرال:

- استمتعي، لوجي .

شريف:

- ميرال،ارتاحي قليلا،يبدو عليكِ الإرهاق.

ميرال بيأس:

- كم أنتِ محظوظة لوجى،حققتي حلمك.

شريف:

- ماذا يقف بينك وبين حلمك وطموحك؟

ميرال:

- لا أدري كلما أخذت خطوات في اتجاه أحلامي ، أتوقف فجأة ولا أدري الاسباب.

شريف:

- إذا أردتِ شيء في الدنيا بصدق بإصرار بشغف حقيقي سيسخر رب الكون لك الكون لتحقيقه ، متى اطلع الله على صدق قلبك لن يخذلك ، قلوب الصادقين عزيزة على خالقها.

- شريف أنا...

شريف مكملا جملتها المبتورة :

- أخاف الفراغ.

ميرال بحزن :

- فراغ يلتهم القلب والعقل والروح.

شريف بتمعن:

- لا تخافي الفراغ ولكن اقبلي على استثماره بكل السبل ولا بأس بقليل من الراحة والاستجمام.

أردفت بضحكة:

- وقتها ستراني كتلك الباندا الكسولة.

وأشارت لصورة الباندا الموجودة على المكتب

شريف ضاحكا بشدة :

- أختي الباندا الجميلة سنتأخر عن النادي

ميرال متسائله:

- الكيودو أليس كذلك؟

شريف بحب:
- الكيودو عشق لا ينتهى،أتعلمين هناك مراحل بحياتنا تشبه السهم نرتد كثيرا للوراء حتى يظن منافسونا أننا تأخرنا عنهم وما إن ننطلق نصيب قلب الهدف بسرعة البرق.
شريف يعشق الكيودو وتعني الرماية بالسهم والقوس باليابانية والكيودو حرفيا تعني طريق القوس، تهتم رياضة الكيودو بتنمية قوة التركيز وتوحيد العقل والجسد من خلال عملية رمي الأسهم في اللحظة المناسبة للنفس. بالإضافة إلى التنافس والتحدي سواء الفردي أو الجماعي.إنها تسعى وراء المبادئ الثلاثة (الحق والخير والجمال)
وصلوا إلى النادي ليبدأ شريف مباراة كيودو مع أصدقاءه.
هناك نوعان من التحدي لإصابة الأهداف في رياضة الكيودو وهما "تحدي المسافات القريبة" و"تحدي المسافات البعيدة"وتُحصل النقاط الأعلى كلما كانت الإصابة أقرب من نقطة المركز أي منتصف الهدف وتكون المنافسة هنا على تحقيق

أعلى النقاط. ويقال إنه إذا تم التقابل مع القوس بالحركات السليمة مع الحفاظ على الهدوء والرزانة وكذلك الاهتمام بطقوس وآداب الرمي والتقيد بها، فإن السهم سيصيب الهدف المراد في اللحظة المناسبة.

يرتدي لاعب الكيودو زِّي خاص ويتكون من رداء أبيض اللون في الجزء الأعلى من الجسم يسمى "تسوتسوسودي" مع سروال"هاكاما" أسود وجوارب "تابي" بيضاء ، وتوضع قفازات خاصة من الجلد لحماية اليدين وهناك شيئا يوضع في بعض الحالات لحماية منطقة الصدر بالنسبة للاعبين من السيدات.

يطلق على الأدوات المستخدمة في الكيودو اسم "واكيو".

يوجد ٣ أنواع من الأقواس التي تستخدم في رياضة الكيودو الحديثة. ولكن شريف يستخدم القوس التقليدي "تاكي يومي" أو "أقواس الخيزران" وهو النوع الذي يفضله مدرب الفريق.

مبارة رائعة وروح تنافسية جميلة،شريف شخص يجيد الاندماج مع التغيير سريعا برغم انضمامه

حديثا إلى هذا الفريق ولكن روح الألفة مع زملائه في الفريق تشعرك بأنهم أصدقاء منذ زمن،ميرال تمارس الكيودو فقط عندما يكون شريف برفقتها،كم تشعر بأنها افتقده سنوات طويلة برغم صديقاتها القريبات جدا منها وعلاقتها الجميلة بهم،الا انها تشعر معه بالاختلاف،اختلاف يضيف نكهة مميزة لحياتها افتقدتها طويلا.

شريف بحماس:

- جميلتى، ما رأيك في القليل من المثلجات؟

اومأت برأسها بسعادة، شريف حالة مميزة.. أخ عطوف وصديق فريد.. يطوف بك من أساطير الزهور إلى ساحات الرياضة ثم دنيا المثلجات.

....

مائدة أنيقة تجمع أشهى أنواع المأكولات الشرقية التي يعشقها نبيل الألفي رجل الاعمال، برغم جولاته التجارية حول العالم وغيابه عن زوجته دارين وولديه خالد وباسل،إلا أنه حريص على الاجتماع معهم كلما واتته الفرصة، خالد المهندس المدني الذي يحمل هم شركات أبيه وأعماله والذي

استحوذت على قلبه نشوى - ابنة أحد أشهر المحامين في مصر- وانشغل معها عن أغلب التجمعات الأسرية، بينما الصغير باسل يدرس الطب ويطمح إلى أحد التخصصات الجراحية، يبدو أن مائدة اليوم ستقتصر على نبيل ودارين بينما خالد وباسل كل يسبح في عالمه.

نبيل:

- كيف حال باسل وخالد؟

- باسل في عامه النهائي وكل وقته للدراسة،وخالد في حياته مع نشوى.

- حتى أنهم لم يهتموا بقضاء وقت مع والدهم بعد غياب 6 أشهر.

- التمس الاعذاريا نبيل.

- ربنا ييسر أمورهم.

ليقطع وصول باسل المفاجئ حديثهم وعليه أثار الإرهاق والتعب.

باسل بود معانقا والده:

- حمدا لله على سلامتك أبي،اشتقنا إليك كثيرا.

نبيل مربتا على كتفه:

- سلمك الله ،تبدو مجهدا للغاية.
باسل:
- أنا بخير ،استئذنك أن ارتاح قليلا ونكمل حديثنا على العشاء.
نبيل بحب:
- استرح يا ولدي، أعانك الله.

باسل مجهد ومريض بعد أن قضي الليلة الماضية يذاكر مع أحد أصدقائه وهو مصاب بالحمى،عادة وقت مرضه لايمكنه المذاكرة بمفرده،كما أن أمه لو علمت بمرضه لن تتركه يذاكر حرفا وستطلب منه الراحة التامة ولكن لديه عمل لم ينجزه بعد.

الفصل الثانى
الهروب أم الصمود

في زحام القبح قد ننسى الأشياء الجميلة
وفي دوامات الإحباط قد يهجرنا الأمل
فاروق جويدة

سنوات من المعاناة والاجهاد
هكذا هي نظرة ميرال لدراستها الطويلة
معاناة من طرق تدريس الطب في مصر..من المناهج..من المحاضرات..من النظري والعملي..من الامتحانات..من تقديم الخدمة الطبية..من المسئولين

عن الحياة الصحية في مصر،دوائر مفرغة من المعاناة.
الرحيل قرار صعب وهناك من يسميه الهروب
والصمود أيضا قرار أصعب وما بين رحيل وصمود
استسلام مرير لقهر ويأس وإحباط تأباه نفوس
الابطال الشجعان،الابطال الذين علموا قدر المسئولية
وقرروا تحملها بشرف وامانة
قامت وانهت الصراع الدائر داخلها بوضوء
وركعتي استخارة بين يدي الرحمن الكريم
واستسلمت لنوم هادئ.

بدون الحرية تموت الأفكار داخل العقول ويؤد
الابداع في قلوب المبدعين،تعدد السبل للوصول إلى
هدف نبيل كل حسب رؤيته ولكن ماحدث كان
خلاف ذلك...
في بداية عمله كطبيب مقيم بجراحة القلب والصدر
في مشفى الجامعة،كان أحد الأساتذة الذي تلقى
تدريبه في كندا يعمل بإحدى التقنيات المستخدمة في
استبدال الشرايين التاجية في القلب في حالة

انسدادها،كان يفضل هذه التقنية لان نتائجها الطبية جيدة و هو يجيدها باتقان وبعد ان تعلمها الأطباء الذين كانوا تحت تدريبه ،سافر الأستاذ لاستكمال ابحاثه ودراساته في كندا وانتقلوا للعمل مع أستاذ آخر ولكنه للأسف لم يكن على وفاق مع الأستاذ السابق وانتقد التقنية بشدة ووبخهم جميعا لأنهم تعلموا هذه الطريقة-مع العلم بأنها طريقة علمية وموجودة بالمراجع الطبية ولكنها حديثة لم يتعلمها سوى عدد قليل من الجراحين-وهذا الأستاذ من محاربي التجديد وشديد الولاء للتراث الطبي العتيق ،في نهاية للامر تم عقاب المجموعة وكانوا ثلاث جراحيين وتم منع باسل من دخول غرفة العمليات لمدة شهر.
تخيل جراح يقضي شهرا كاملا لا يمس مشرط ولا يحضر أي عملية جراحية وهو في حقيقة الامر لم يذنب ولكن صراعات الكبار يدفع ثمنها الصغار.

كان يجلس في حديقة المشفى ليلا عقب انهاء المرور على المرضى والغيار على الجروح،يبكي

في صمت،يبكي ظلما وقهرا..ضعفا والما ولكن
دعوة المظلوم لاترد لا يحجبها الله والهمه الله دعاءا
ردده بكل ذرات جسده (اللهم رب العزة
والملكوت..اللهم انصرني بنصرك كما نصرت
موسى على فرعون،اللهم نجني من القوم الظالمين
كما نجيت لوط من قومه،اللهم اخرجني من ظلماتي
كما أخرجت يونس من ظلمات الحوت)
تغريد عصافير فرحة بشروق صباح جديد وقطرات
ندى رقيقة تعانق العشب الاخضر وعبير أزهار
فاتنة ينبعث من الحديقة الصغيرة التي تطل عليها
نافذتها، تلك النافذة التي تطلق عليها -نافذتي إلى
الجمال والسلام -نعم جمال طبيعي أنيق ببساطة لا
تكلف ولا اسراف، وسلام افتقدته قلوب البشر،
أفاقت سيمون من شرودها لتجد دقات الساعة تعلن
تمام السابعة صباحا بتوقيت القاهرة،تلك الجميلة
صاحبة بشرة خمرية هادئة وقوام رشيق كلاعبات
كرة السلة ذات الست وعشرون عاما حظيت أخيرا
بليلة نوم هانئة في بيتها بعيدا عن طوارئ قسم
الجراحة العامة وها هي الان في طريقها لبداية يوم

جديد وسط الالام المرضى وصخب التمريض
والعمال واستدعاءات الطوارئ وطلبات الاخصائين
وتوجيهات الاستشارين وهاتف لا يمل من الرنين
تمضي الأيام بتكرار روتيني يكاد يفقدك شغفك
بالحياة وتطلعك لمستقبل أفضل.
عند وصولها للمشفى التقت بميرال صديقة الدراسة
وهي تسلم حالات المناوبة الليلية ل زميلتها في
الفترة الصباحية.
سيمون ضاحكة:
-حينما يبدأ يومي بلقاءك فهو حقا يوما مميز.
ميرال بحب:
-حبيبتي سيمون،أشتقت إليكِ كثيرا،أتمنى أن يجمعنا
لقاء قريبا.
سيمون:
-العمل صار كل حياتنا،حتى في أوقات الراحة،اما
ان ننام او نشرد بخيالنا في اللاشئ.
ميرال:
-تذكري أننا نفعل الشئ حينما نريده بصدق.
سيمون:

-أتعرفين رولا..اجمل ما فيكِ هو التفاؤل رغم كل شيء..رغم المناوبات المجهدة..رغم الشخصيات الصعبة التي نواجهها يوميا،احب رولا صاحبة الإرادة المشرقة.

ميرال وهي تحاول كتم ضحكتها:

-الإرادة المشرقة!!،يبدو ان معنوياتك مرتفعة هذا اليوم.انطلقي حبيبتك قبل ان يعكر مزاجك عقاب أحد الاخصائين.

سيمون بسخرية:

-جعل الله كلامنا بردا وسلاما على قلوبهم.

وانطلقت بحماس إلى عملها وبينما كانت في طريقها إلى معمل التحاليل لتطمئن على تحاليل المرضى قبل إجراء العمليات وإذا برجل خمسيني يكسو رأسه الشيب يلاحقها في جنبات المستشفى

الرجل:

-إذا سمحتي ، هل أنتِ طبيبة؟

سيمون وقد علا وجهها الدهشة وهي ترتدي معطفها الأبيض:

-نعم سيدى، هل تبحث عن شئ لأساعدك؟

الرجل بهدوء:
-أنا أستاذ أمراض الدم بأحد المستشفيات الجامعية.
سيمون بصبر:
-أهلا وسهلا.
الرجل:
-في أي قسم تعلمين ؟
سيمون:
-طبيب مقيم بقسم الجراحة العامة.
الرجل:
-هل أنتِ مرتبطة؟ أنا أبحث عن عروس طبيبة لأبني الطبيب الشاب.
سيمون بضيق:
-أنا طبيبة جراحة .
الرجل:
-وهل طبيبات الجراحة ممنوعات من الارتباط؟
سيمون بغضب:
-أنا لا أفكر في الارتباط .
وانصرفت وهي في قمة الغضب

ما هذا العبث؟أهذه مستشفى لتقديم خدمات طبية أم مكان للبحث عن عروس؟! وهل رجل في سنه ومركزه-ان صدق-يليق به فعل هذا؟! وهل هذه طريقة للبحث عن عروس؟!
اتجهت إلى غرفة العمليات لتشارك في احدى جراحات الطوارئ لحالة تم حجزها منذ قليل، وما إن بدأت التعقيم وتجهيز المريض حتى انطلقت إشارة البدء..
-سيمون سأمنحك فرصة البداية كهذا نطق بها أحد الأخصائيين ، واندفع الأدرينالين في كل خلاياها يستحثها على استغلال الفرصة ويصرف عن ذهنها أي انشغال ويملئ قلبها بالحرص على سلامة المريض ونجاح الجراحة ، والحمد لله مرت العملية بسلام والعلامات الحيوية للمريض مستقرة ، ولم تسترح سوى دقائق حتى اخترق اذنها صوت أحد الاستشارين موبخا الاخصائي الذي أشرف على إجرائها الجراحة منذ قليل:
-كيف سمحت لها بإجراء الجراحة؟
الأخصائي بأسف:

-كنت معها خطوة بخطوة وكان اداؤها جيدا ولم تحدث مضاعفات.
الاستشاري بضيق:
-لا ينبغي أن نمنح الفرصة لهؤلاء الصغار في هذا الوقت المبكر؟
الأخصائي موضحا:
-سيمون مر عليها عام كطبيب مقيم وأعتقد أنه يمكن الاعتماد عليها.
الاستشاري بغضب:
-مثل هؤلاء الاوغاد الصغار لو أتيحت لهم الفرصة سيتجرؤن علينا ولن يمكن السيطرة عليهم أعتقد أن عليك التنفيذ دون مناقشة لكي تجتاز امتحان الدكتوراة بسلام.
كلمات يملؤها الغضب وربما الكراهية مثيرة للحزن والاشمئزاز.كلمات آلمتها بشدة بينما كانت تستمع إلى حديثهم من غرفة التمريض الملاصقة لغرفتهم، كثيرا ما تجلس تستريح ولو قليلا في غرفة التمريض حينما ينشغل التمريض بإعطاء أدوية

المرضى في مواعيدها، عملا بمبدأ حينما يتحدث الكبار لابد أن يفر الصغار.
ألا يعلم هذا الاستاذ أن من علمني حرفا دعيت له دواما
ألا يعلم أن من علم علما فكتمه ألجم بلجام من نار يوم القيامة
ألا يعلم أن زكاة العلم بذله وتعليمه للناس ، ان كان لا يريد تعليمنا هو فليترك الفرصة لغيره.
أم أنه خائف لأنه فعل هذا باستاذته عندما أتيحت له الفرصة وهو يعلم أنه كما تدين تدان، ولكن يا سيدي الناس معادن كمعادن الذهب والفضة.
قلبها يتألم وجسدها مرهق وشعور بالجوع يعتصر معدتها، هاهم يغادرون غرفة الأطباء ، الحمد لله يمكننها تناول طعامها في هدوء مع القليل من الشاي الأخضر وربما غفوة صغيرة وإذا برنين الهاتف يحطم امالها الصغيرة مضيئا بإسم زميلتها من الطوارئ لتخبرها بوجود ثلاثة أفراد من حادث اصطدام مروري ويحتمل وجود نزيف داخلي عند أحدهم، تركت المكتب بسرعة مستخدمة الدرج

لأصل إلى الطوارئ وبدأت بفحص المرضى وطلب التحاليل والأشعة التلفزيونية والأشعة المقطعية لأجد أحدهم مصابا بانفجار بالطحال ويحتاج جراحة عاجلة لاستئصال الطحال ،وحالة مصابة بكدمات بأماكن متفرقة والعلامات الحيوية مستقرة الأخرى بكسر في القدم اليسرى يحتاج تدخل جراحي ولكن تمزق في غشاء الكبد من الدرجة الاولى ويحتاج الملاحظة مع متابعة صورة الدم والاشعة التلفزيونية يوميا واشتد النقاش بينها وبين أحد أطباء العظام حول حجز المريض في قسم العظام أم الجراحة العامة نقاش جدلي عقيم ارهق اعصابها وانتهى بحجز المريض بقسم العظام ولكن المفاجأت لا تنتهي ، بينما هي تجهز الحالة للجراحة إذا بأحد الاستشارين يناديها د.سيمون

سيمون بأدب:

-نعم دكتور

الاستشارى:

-طلب بسيط، هناك مريض قدم سكري يهمني بقسم الغدد الصماء ارجو فحص الحالة واتخاذ اللازم وابلاغي بالتطورات.

سيمون بأدب:

-حاضر وهمت بالانصراف ولكنه استوقفها قائلا:انتظرى.هناك مريض قريب أحد أساتذة المسالك البولية يعاني من فشل كلوي و تليف بالكبد ولديه فتق اربي مختنق ويحتاج جراحة عاجلة برجاء احجزي له مكانا في الرعاية المركزة لينقل إليه عقب إجراء العملية وابلغيني ماذا فعلتي؟

سيمون بصبر:

-حاضر

هبطت بسرعة على الدرج لتتمكن من إنجاز المطالب وتشاهد ولوجزء من العملية ولكنها اصدمت بأحد اخصائيات الجراحة العامة.

الاخصائية بغضب:

-دوما أنتِ متسرعة، ألا يمكن أن تهدئي وتركزي قليلا

سيمون بأسف:

-اعتذر اليكى.
الاخصائية بضيق سيأتي بعد قليل مريض يهمني برجاء فحصه في الطوارئ وابلاغي بالحالة.
نعم ان المصائب لا تأتي فرادى وإنما لابد أن تكون جماعات تستهلك وقتك وطاقتك، وكما توقعت مرت ساعتان، وقعت الكشف على مريض الغدد ومريض الطوارئ وأبلغت بحالتهم وقرابة الساعة وهي في شد وجذب مع أطباء الرعاية لتوفير سرير وجهاز تنفس صناعي وأخيرا نجحت في توفير مكان للمريض، وأبلغت الاستشاري وطلب منها التحضير لعملية الفتق المختنق بعد انتهاء عملية استئصال الطحال ولم تشاهد منها خطوة واحدة، وتم تجهيزمريض الفتق المختنق وبدأت العملية وكأن القدر ابتسم لها وستحظى بمتابعة العملية خطوة بخطوة ولكن قرب انتهاء العملية بدت الرؤية مشوشة وكأن روحها تغادر جسدها المجهد الذي لم يتناول إفطارا ولا غداءا، ظل قلبها يخفق بشدة حتى سقطت أرضا وغابت عن الوعى.

وتوالت الأيام وألحت على ذهنها فكرة المنح
والبعثات الدراسية ،بدأت تقرأ عنها وتجمع
المعلومات وتتعرف على الشروط المطلوبة للقبول
بمنحة وكان أهمها اتقان اللغة وبدأت مشوارها سرا
لم تخبر ابيها ولا امها ولا صديقاتها ،الوحيد الذي
شاركها كفاحها هو اخيها شريف كانت تغتنم الدقائق
لتصل لهدفها ،وسط المناوبات والمرضى
والعمليات.
ساعات كانت تقضيها خارج البيت بصحبة شريف
يتدربا على المحادثة واستمر الكفاح تسعة أشهر إلى
ان وفقها الله للقبول بمنحة بانجلترا ،سعادة لا
توصف ،إحساس بالنصر،أسرعت تشارك شريف
بفرحتها وما إن ذهبت إليه حتى وجدت بيده ورقة
يتطلع إليها بسعادة
ميرال:
-تبدو سعيدا،شاركني فرحتك؟
شريف:
-الحمد لله تم قبولي بمنحة بكندا.
ميرال بسعادة:

-مبارك شريف ربنا يوفقك، أختك الحمد لله تم قبولها بمنحة بانجلترا.
شريف بفرحة:
- الحمد لله رفيقة الكفاح بارك الله لكِ ،لابد ان نحتفل بهذه الليلة التاريخية.

نادرا ما يبكي الرجال ولكن الإحساس بالقهر وقلة الحيلة موجع جدا ولا سيما على انسان مثل باسل،بينما كان يتضرع إلى الله بكل جوارحه ،اقترب منه عم صالح ذلك العامل البسيط الذي قارب بلوغ المعاش ، ربت على كتفه وهمس بأذنه :
-لا تحزن وتلك الأيام نداولها بين الناس ،لا تيأس ولا تستسلم ، ابتسم له باسل ابتسامة حزينة وتركه ورحل.
ذكرته الكلمات بمقولة استاذه وقدوته:
تنضج الأشياء بالنار وتحترق بالنار وبين النضج والاحتراق سور رفيع يبنيه الأمل ويهدمه القنوط.
منذ بدأت عقوبته اعتزل البيت قليلا ما يجيب على الهاتف ويعتذر بالعمل بالمشفى حتى في الليالي التي

لا مناوبات فيها، ليالي طويلة قضاها مع زملائه بالمشفى ، شعور بالضعف كان يعتريه ولا يحب أن يراه أحد بهذا الضعف و كما يقول اصدقائه دوما (لا يجيد التظاهر) فضل الهروب على مواجهة نظرات ابيه وامه التي تشعره بمزيد من العجز ،هكذا هو باسل كلما اصابه ضيق أوحزن ابتعد عن كل الناس وبقى وحده في عزلة لم يستطع أحد اختراقها يوما حتى يقرر بمحض إختياره الخروج منها ، الشكوى عند باسل الألفي لا تجلب سوى نظرات الشفقة من البعض وربما نظرات الشماتة من البعض الأخر.

ذات يوم اتاه اتصال من أحد اصدقائه الذي سافر إلى بريطانيا مؤخرا.

هيثم:

-باسل كيف اخبارك أيها المقاتل؟

باسل:

-الحمد لله ولكن المعركة غير شريفة.

هيثم:

- اخبرني أحد زملائنا بما حدث مؤخرا لهذا تحدث اليك،مثلك يا باسل لا يمكنه الاستسلام.

واخذ يحكي له عن المعادلة البريطانية وزمالة الجراحة وفرص التدريب والعمل ببريطانيا

هيثم:

-الحياة ليست وردية ولكن كلها جهاد وكفاح،المهم ألا يضيع جهدك بلا فائدة.

باسل:

-نعم،العمر لحظة.

هيثم:

-لحظة قرار غير حياتك للأبد..لحظة اختيار.

باسل:

-ربنا يوفقنا لحسن الاختيار ويهدينا للصواب.

هيثم:

-لماذا لا تتزوج ؟ انسانة ترافقك في طريق الكفاح .

باسل:

-من هذه المسكينة البائسة التي ستعيش معي حياتي الغير مستقرة.

هيثم:

-ادعو الله (اللهم ثبت اركان حياتي وقوي ثقتي بنفسي وكن لي خير معين يا قوي يا متين)

باسل:

- اللهم امين و اياك هيثم.

هيثم:

-فكر في موضوع الزواج بشكل جدى،فكر في انسانة تشاركك افراحك واحزانك،تشاركك امالك وطموحاتك ،تخفف عنك الآمك،انسانة تكون الصديقة والزوجة والحبيبة.

باسل ضاحكا:

-يبدو أنك وقعت في الحب ولا تريد ان تكون بمفردك،تريد ان تورطنا جميعا.

هيثم:

-يوما ما سيطرق الحب بوابات قلبك وانصحك بعد ان تتأكد من هويته اسمح له بالدخول واحسن ضيافته.

باسل:

-اسعدك الله ،بارك لكما وجمع بينكما في خير.

هيثم:
-ان شاء الرحمن،ابارك لك قريبا على العمل الجديد والزوجة الصالحة،في رعاية الله.
باسل:
-ان شاء الله،في حفظ الله.
ليبدأ باسل بعدها عمل وبحث بكل جد واتقان ليكافئه الله بفضله بمعلومات قيمة فتحت له الطريق إلى أفاق جديدة.

لطالما كانت المواجهة قدره،لا يجيد الهروب ،المواجهة أيا كانت نتائجها افضل،مواجهة ابيه وامه لن تكون سهلة ولكنها حتمية.
توجه إلى غرفة الجلوس حيث يجلس ابيه وامه يتناولان القهوة،تبدو لحظة مناسبة.
شريف:
-مساء الخير أجمل أب وأطيب أم.
عاصم:
-مساء الخير حبيبى.
علياء:

-البداية جميلة ولكن ماذا بعد؟
شريف:
-كل الخير.
وأخذ يشرح لوالداه عن ظروف الحياة العلمية والاقتصادية في مصر ونقص الإمكانيات وقلة الموارد وعدم تقدير العلم والعلماء.
عاصم:
-شريف،اخبرني عما تفكر فيه.
شريف:
-منحة ممولة لاستكمال دراسة الطب خارج مصر.
علياء:
-جميل،ولكنها تحتاج إلى متطلبات للقبول بها.
شريف:
-ماذا لوتوفرت المتطلبات وتم القبول.
عاصم:
-ماذا؟!
شريف:
-تم قبول ميرال في منحة ممولة للدراسات العليا بانجلترا بينما تم قبولي في منحة أخرى في كندا.

عاصم:

-ماشاء الله،يبدو أنكما تخططان سويا منذ زمن ونحن آخر من يعلم.

شريف:

-أبي..أنا...

قاطعه عاصم:

-انت اجتهدت مع أختك للحصول على فرصة للنجاح في الحياة و هذا حق لكما.

علياء:

-عاصم،هل أنت موافق؟!

عاصم بدهشة:

-ولماذا ارفض؟

علياء باستنكار:

-على الأقل سفر ميرال.

عاصم:

-ميرال ليست صغيرة و هي قادرة على تحمل مسئولية حياتها وسنكون على تواصل معها لنقدم إليها المساعدة ان احتاجت إليها.

علياء:

-بهذه البساطة!!!
عاصم:
-ميرال انسانة من حقها ان تأخذ فرصة لتنجح وتتقدم وتشعر بالانجاز.
علياء بضيق:
-ولكن من حقنا ان نحميها ونخاف عليها لأنها ابنتنا.
عاصم بهدوء:
-ومن أخبركِ باننا سنتوقف عن حمايتها! سنتابع اخبارها أولا بأول ان شاء الله،وان اقتضى الامر سأذهب إليها لأتدبر شئونها.

لم ترضَ علياء لموافقة عاصم على سفر ميرال،ابنتها الوحيدة كيف يمكن لها ان تفارقها،هي لا تقف في طريق مستقبلها ولكن القلق والحيرة يمزق قلبها ،قررت الاتصال بأختها لمياء حتى تتناقش معها ربما تهدأ ولو قليلا.
لمياء:
-كيف يوافق عاصم زوجك على سفر ابنته الشابة للعمل في الخارج بمفردها؟

علياء بألم:
-ربما يكفر عن ذنب الماضى
لمياء بدهشة:
-ذنب الماضى.
علياء:
-ذلك الذنب الذي غير حياتنا، في أحد الأيام بعد سفر شريف مع عمه إلى الامارات.خرجت لأشتري بعض الاشياء وفي طريقي قابلت فادي ابن خالتي وكانت زوجته متوفاة من شهرين وكان بصحبته طفلته ذات العامين صافحت الطفلة بحرارة حينها رأتني فريدة اخت عاصم و كانت تسعى للافساد بيني وبين عاصم وعندما عاد عاصم كان عصبي للغاية فتيقنت انها وسوست له ليحيل ليلتي إلى الجحيم.
عاصم والشرر يتطاير من عينيه:لماذا خرجتي دون أذني ؟
رددت بخوف:هاتفك كان خارج تغطية الشبكة وكنت احتاج اشياء ضرورية للبيت. صفعني على وجهي بعنف فسقطت ارضا وصرخت صرخة مدوية اتت

على اثرها ميرال لغرفتي لتجدني ملقاة ارضا، شفتاي تنزفان بغزارة،لتقف امام والدها وتبكي قائلة: ارجوك لا تؤذي امى.أنا لا احبك ،ولا ادري لما فقد عاصم عقله وانهال ضربا على ميرال بحزامه حتى انقذتها من بين يديه وهدأتها لتنام.

لكن في اليوم التالي عندما ذهبت ميرال إلى المدرسة لم تعد للبيت في موعدها واتصلت بي ام صديقتها تخبرني ان ابنتي تبكي بانهيار وترفض العودة للبيت.

توجهت إلى ميرال وحاولت تهدئتها ولكنها رفضت ان تعود للبيت في وجود والدها واصطحبتها إلى بيت أمي كي تهدأ وكان عاصم مسافرا إلى الاسكندرية في عمله ولكن في تلك الليلة ظلت ميرال تصرخ وتبكي طول الليل .طلبنا لها الطبيب ليخبرني ان ابنتي تعاني من صدمة عصبية عنيفة وتحتاج علاج نفسي ولم يقتصر الامر على ذلك بل ظل مشهد الليلة الاليمة كابوسا يطاردها كل ليلة.

كانت خسارتي لاتقدر بكنوز الدنيا ،اخبرت أمي برغبتي في الانفصال عن عاصم لأنه كان السبب

فيما اصاب صغيرتي ذات الستة اعوام.في اليوم التالي اتى عاصم ليصالحنا بعد ان اطلعه الطبيب على حالة ميرال ولكني رفضت العودة معه وطلبت علاج ابنتي بعيدا عنه حتى تتحسن حالتها ويبدو ان عاصم ادرك خطأه ووافق على بقائي مع والدتي شهرا لتتلقى ابنتنا علاجها واعتذر لي بشدة عما فعله وطلب من مسامحته ولكني اخبرته:ان لم تتحسن ابنتي لن اسامحك طول العمر يا عاصم.

الفصل الثالث
حينما يتبدل عالمك

يا قلب لا تقنع بشوك اليأس من بين الزهور فوراء أوجاع الحياة عذوبة الأمل الجسور

أبو القاسم الشابي

بدأت إجراءات السفر لبريطانيا سرًا حتى أباه وأمه لم يخبرهم ، لم يكن يريد لأي شيء أن يثنيه عن سفره، خالد أخيه ساعده في إنهاء الإجراءات ودبر

له المال الذي احتاج إليه، خالد أخيه الأكبر ولكنه توأم روحه وصديق عمره.

خالد:

- ستحصل على تأشيرة السفر بعد أسبوعين،ونأكد على ميعاد الحجز وتجهيز السكن.

- بذلت جهدًا كبيرًا لأجلي ، بارك الله فيك خالد.

- وفقك الله اخى،كل ما أخشاه هو رد فعل أمي وأبي.

باسل:

- أمي ستغضب كثيرًا ولكنها ستسامحني حينما تعرف أسبابي ، أبي كثير السفر لن يغضبه إلا أننا تصرفنا دون علمه.

خالد:

- لا أدري كيف تكون العواقب.

باسل:

- لن يعرف أحد قبل أن تستقر كل الأمور وأكون جاهز للسفر.

خالد:

- ربنا ييسر الأحوال ويوفقك للخير.

باسل الذي يشعر بالغربة في بلده وبين أهله وأصدقائه، فكيف حاله إذا فارق الأرض والأهل والأصحاب؟!
يقولون أن أقوى آلام النفس..ألم الفراق.. هذا إن كنت تقدر قيمة ما فارقته ..فكيف إن لم تقدر قيمته..أعتقد أنك لن تتألم.
هكذا قرر باسل الرحيل عن مصر للعمل والدراسة خاصة بعد ما عاناه من صعوبات في الفترة الأخيرة.

شغف التجربة..حماس المغامرة..خوف من المجهول..
مشاعر كانت تتصارع بداخل ميرال، ولا تدري متى يتوقف هذا الصراع ولا كيف تنهيه ؟
كل ما تعرفه أن عليها خوض التجربة وتحمل نتائجها، تؤمن أن التجارب تصنع الإنسان..تصقل مواهبه..تنمي قدراته..تكشف لك الستار عن نفس تكمن في داخله لم يلتقِها يومًا..نفس ربما لو تعرفت عليها لتبدل عالمك.

كلنا يدعي القوة والشجاعة ، وحدها التجارب قادرة على إثبات ذلك أو نفيه.
التجارب تختبر صحة ما اعتقدناه يومًا..من لم يتعلم من تجاربه لن يتعلم أبدًا..حينما تستمع إلى تجارب الآخرين وتتأملها ،لا تنسَ نكهتك الخاصة وأنت تحاول أن تتعلم أبجديات المحاولة.

سواح وماشي في البلاد سواح
والخطوة بيني وبين حبيبي براح
مشوار بعيد وأنا فيه غريب
والليل يقرب والنهار رواح

كلمات هذه الأغنية تعزف على أوتار قلب شريف مقطوعة عذبة لا يفهمها سواه.
طفولته مع ميرال..شبابه في بيت عمه..سنوات الحب والصداقة..آسر الرفيق وأريج الحبيبة..وتتوالى الأيام ويغادر الأحبة ولكن قلبه لا يمل من أشواقه ، واليوم قلبه مسافر من جديد ولكنه لن يترك حقيبتيه.. الذكريات والطموح.

ديسمبر 2012 لندن.
ثلوج تكسو الطرقات ورياح باردة ولكن لم تتمكن من قلوبهم المتقدة بحرارة الشغف والحماس، وصلا إلى الشقة التي استأجرها والدهم لتقيم بها رولا خلال فترة المنحة بعد أن طلب والدها من شريف مرافقتها خلال أيامها الأولى في لندن فقد سبق له زيارة المدينة عدة مرات برفقة عمه ، كما أن موعد سفره إلى كندا لم يتحدد بعد لحين وصول التأشيرة.

ميرال بارهاق:

- احتاج إلى النوم بشدة.

شريف:

- نامي يا عزيزتي ، ينتظرنا الكثير الليلة والأيام القادمة.

ميرال بدهشة:

- الليلة؟؟؟!

شريف بهدوء:

- نعم.. تحتاجين إلى جولة في محيط سكنك لتتعرفي على طبيعة المكان، وأضاف ضاحكًا: ثم دعوة عشاء على شرف استقبالك.

ميرال بمرح:

- إن كان في الجولة عشاء فلا بأس بها.

شريف بحب:

- نومًا هادئًا وأحلامًا سعيدة.

رولا أخته وصديقته،كيف يمكن لقلبه أن يتركها وحدها في بلاد لا تعرفها،ولكنه يثق في شخصيتها القوية وقدرتها على تحمل مسئولية حياتها،يثق في إصرارها وعزيمتها،ارادتها القوية التي دفعته كثيرا حينما كانت تضعف معنوياته قبل الإعداد للسفر.
يخشى عليها كثيرًا ولكنه استودعها أمانة عند الله وثقته بربه أنه لن يخذله أبدًا.

استيقظت من نومها وهي تشعر بالراحة تسري في أعماقها..إحساس الراحة الذي يتسرب إلى نفسك حينما تدرك أنك وضعت قدمًا على طريق تمنيته

طويلًا ، ولكن لماذا يتخلى الإنسان عن حلمه ؟!
وعاد إلى ذهنها حديثها مع صديقتها ليلى.
ميرال:
- كيف تتركين مجالًا كان حبك..كان حلمك.
ميت هو من يتخلى عن مشروع قبل أن يهم به،من يتجنب الشغف ولا يجازف من أجل أن يطارد أحد أحلامه.
ليلى بشرود:
- الحياة تتغير.
ميرال بإصرار:
- تتغير عبر أفكار العقل وتأملات القلب.
ليلى :
- ماذا لو قرر العقل وصدقه القلب؟
ميرال بابتسامة:
- كما يقولون ، أصل الحب الاحتياج ، وثمنه الصبر، وبرهانه التضحية ، وأن بدايته العمى ونهايته الإدراك وبينهما التعايش.
ليلى بدهشة:

- بداية الحب العمى!! ألم تسمعي لرضوى عاشور قولها: "كيف تكون بداية الحب العمى وهو الذي يجعلنا نبصر الأشياء".

ميرال بتفهم:

- يقول ابن حزم :" دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة ".

ليلى:

- لماذا المعاناة يا رولا..لماذا لا تسمحين لقلبك أن يحلق في سماء الحب ودنيا العشاق؟!

ميرال:

- وماذا بعد السباحة في الفضاء؟

ليلى:

- يحيا سعيدًا.

ميرال بتمعن:

- لابد أن يهبط على أرض تمنحه فرصة للحياة، وإن لم يجد هذه الأرض يموت.

ليلى:

- الحب حياة يا رولا..لا تحرمي نفسك أن تستمتعي بها تحت أي مبرر.

كثيرًا ما يدفعنا اليأس إلى الاستسلام
استسلام للحزن..للاكتئاب..للمرض
سيمون لم تستسلم للمرض إلا بعد يأسها من
الحصول على فرصة لتثبت نفسها ، تحارب وحدها
في معركة يبدو أن نهايتها ليست في صالحها.
ميرال قلقة للغاية وليلى بالرغم من هدوئها لا تخلو
ملامحها من الاضطراب ، حتى حاتم زميلهم طبيب
التخدير لم يغادرهم، بل ظل يطمئن على المحاليل
المتصلة بجسدها والعلامات الحيوية كالنبض
وضغط الدم ومعدل التنفس.
حاتم:
- حمدًا لله على سلامتك ، سيمون.
ميرال:
- سلمك الله ،حاتم.ماذا أصابها؟
حاتم:
- نقص شديد في مستوى السكر في الدم ، وكذلك
ضغط الدم.
ليلى:

- نعم، إنها تعمل حتى آخر نفس، رفقًا بصحتك.
سيمون بإجهاد:
- أنا بخير والحمد لله،لا تقلقوا.
حاتم:
- ستظلين تحت الملاحظة لمدة أربع وعشرين ساعة، بعدها تعودين للبيت لفترة راحة لا تقل عن أسبوع.
سيمون بقلق:
- أسبوع راحة؟
حاتم:
- توجد نسبة من فقر الدم،لابد من الراحة والعلاج حتى لا يتأثر القلب.
ميرال:
- بدون مناقشة، ستحصلين على الراحة المطلوبة حتى لو رفض القسم واستدعى الأمر تقديم استقالة ، ما قيمة استمرارك في عمل يفقدك صحتك وشبابك.
سيمون بألم:
- أنتِ يا طبيبة النساء والولادة من تتكلمين**!!**
ليلى:

- كلنا يواجه الإجهاد في عمله ولكنه لا يعرض حياته للخطر.
سيمون:
- أي خطر لا تتعرضين له يا طبيبة الأطفال وأنتِ تتعاملين مع حالات مصابة بعدوى تنفسية أو تسمم بالدم بميكروبات مقاومة للمضادات الحيوية ورعايات الأطفال المبتسرين لا تخلو من هذه الحالات، ميكروب غير مرئي قد يفقدك حياتك، ليلى.
حاتم:
- أرجوكِ سيمون اهدئي واستريحي،الأعمار بيد الله وكل منا يأخذ بالأسباب.
ميرال:
- سنغادر الآن حتى تهدئي ونطمئن عليكِ لاحقًا، حفظكِ الله.
رحلوا جميعًا وبقيت وحدها و سؤال يتردد بداخلها:هل يستحق عملي أن أفقد حياتي في سبيله ؟ وما هي فائدة هذا الجهد والتعب ونفسي تتعذب كل يوم؟

كيف سأحقق طموحاتي وأنا لا أشعر بالراحة ولا الأمان؟
التقطت هاتفها لتكتب على صفحتها الشخصية على الفيس بوك:

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت
أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه
وإن بناها بشرٍ خاب بانيها
أين الملوك التي كانت مسلطنة
حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها
ودورنا لخراب الدهر نبنيها

الفصل الرابع
جوهرة افريقيا

اصنع خيرا لأنه هو الشئ الوحيد الذي لا يموت حين تغيب أنت.

صباح جديد وسط المراجع العلمية وسجلات المرضى كان باسل يتناول قهوته في هدوء حينما دخل عمار إلى المكتب.

باسل:

-تبدو سعيدا ألديك اخبار جديدة؟!

عمار:

-نعم..معسكرفى افريقيا

باسل:

-اريد مزيدا من التفاصيل ،كيف عرفت ؟

عمار:

-حسنا،، وجدت برنامج المعسكر في مكتب الشئون الخارجية وهو معسكر طبى في كينيا يشمل مستشفى ميدانى وعيادات متنقلة والحالات الجراحية تنقل لمشفى جامعة ايجرتون لمدة أسبوع و على من يرغب بالمشاركة تسجيل بياناته.

باسل:

-يبدو أنك ستشارك

عمار:

-نعم ،أنا واجوان ،انها فرصة طيبة للعمل في بيئة مختلفة ومساعدة أناس جدد،هل ستشارك يا باسل؟
باسل:
-لا أدري
عمار:
-باسل ما بك؟
باسل :
-لا شيء
عمار:
-تبدو شارد الذهن،مشغول البال ،،اعتقد ان معسكرا كهذا مناسب لتجدد روحك وتستمتع بجو كينيا المميز.
باسل بتساؤل:
-هل زرت كينيا من قبل ؟ اعتقد ان الأجواء في هذه البلاد ربما تكون غير مناسبة للتنزه .
عماربحماس:
-لم ازرها من قبل ولكن شاهدت فيلما وثائقيا عن الحياة البرية هناك وكان رائعا .
باسل بيأس:

-وهل الواقع مثل الأفلام!
ربت عمار على كتفه قائلا:

سيفتح باب إذا سد باب ..... نعم وتهون الأمور الصعاب
ويتسع الحال من بعد ما ..... تضيق المذاهب فيها الرحاب
مع العسر يسران هون عليك ..... فلا الهم يجدي ولا الاكتئاب

باسل مودعا إياه بابتسامة :
-دعواتك عمار.

ومتى يصفو البال من الهموم؟
ابيه الذي فقد تقريبا محصول أكبر مزارعه بالكامل وباقى الخسائر لم تتضح بعد، وامه المريضة حزنا على ما لحق بهم وخالد المسكين الذي يتدبر خسائرالأموال من جهة وهو عاجز عن تدبر خسارته في بيته.
دكتور باسل ...هكذا هتفت احدى الممرضات

باسل:

-نعم مونيكا
مونيكا:
-دكتور سام ينتظرك في غرفة العمليات.
باسل :
-قادم حالا،دقائق وارتدى بدلة العمليات.
وتوجه باسل ليستكمل يومه في عمليات القلب والصدر املا ان يهدأ باله ولو قليلا مستمتعا بعمله الذي يعشقه.
بينما كانت لورين وميرال وزملائهم الأطباء والممرضات يجهزون لبدء قائمة عمليات النساء والولادة الطويلة
لورين:
-سيكون يوما طويلا
ميرال بحماس:
-ملئ بالإنجازات ان شاء الله
وقرب غروب شمس هذا اليوم الطويل كان الجميع قد انهى عمله.
دكتور سام:
-كنت جيدا اليوم باسل بالتوفيق دوما.

باسل :
-شكرا جزيلا دكتور على منحى الفرصة.
دكتور سام:
-ستكون جراحا ماهرا في المستقبل،ما رأيك ان ترافقنى في معسكر كينيا.
باسل:
-نعم دكتور،شرف كبير
دكتور سام:
-هناك الكثير من قلوب الأطفال في انتظارنا هناك.
ودع دكتور سام وتوجه للغداء بمطعم المشفى بصحبة عمار،كانت تتناول غداءها برفقة زميلتها التونسية لورين،ميرال العنيدة المدافعة عن رأيها لأخر لحظة،نقاشهم الأخير كان جدليا حادا، انها تبدو صاحبة مبدأ ..شديدة الإخلاص عندما تؤمن بفكرة ..محاربة في ميدان الرأي وسلاحها الاقناع بالحجة الدامغة.
عمارقاطعا شروده :
-يابطل ،اين أنت ؟!
باسل باندهاش :

-معك.
عمار:
-فكرت في معسكر كينيا؟
باسل:
- مشارك ان شاء الله.
عمار:
- حسنا،ان شاء الله وقت طيب ممتع.
باسل مودعا :
-اراك غدا،طابت ليلتك.
عمار :
-في رعاية الله .
بينما ميرال ولورين تغادران المشفى ،شاهدهما باسل والتقت عيناه مع ميرال.
نفسه تحثه على الاعتذار لها عن نقاشه الحاد معها،الاعتذار يعنى الاحترام وليس شرطا الاقتناع بوجهة نظر الأخر،الحوار حتى مع الاختلاف لابد ان يكون هادئا راقيا، لكنه انصرف دون ادنى كلام.
ميرال بضيق:

-عجيب امر هذا الرجل ،يناقشك بمنتهى الحدة ولا يكلف نفسه عناء الاعتذار وبعدها يلقاك دون ادنى تحية.

لورين بتفهم:

-لا عليكى،انسى الامر.

كان بحاجة للحديث مع صديق..صديق بعيد عن كل ما يدور بمصر واحداثها..بعيدا عن قلقه واضطرابه ومخاوفه.

وجهة نظر محايدة تحسم الجدل بداخله،سلمان الطبيب السعودى الذي التقاه مؤخرا في أحد المؤتمرات.

باسل:

-كينياّ!! في هذا التوقيت الصعب ولكن لا يمكن ان ارد دعوة د.سام.

اهلى في مصر يمرون بأزمة مالية قاسية وأنا مسافر للتنزه والاستمتاع.

سلمان:

-كلا ليست نزهة فحسب،ستكون في عون المرضى هناك الأطفال والكبار،زكاة الوقت والعلم التي لم تؤدها منذ زمن .

باسل:

-حسنا

سلمان:

-أنت تعيش المشكلة بكل كيانك،لابد ان ترى المشكلة من الخارج حينما تخرج عن اطارها ،حتما ستختلف الرؤية وستختلف الحلول ،ان لنفسك عليك حقا

باسل:

-حسنا سلمان، اشغلتك بمشاكلى،اخبرنى عن احوالك

سلمان:

-لا تقل هذا،باسل ،أنت اخ عزيز ربنا يديم المحبة،أنا بخير والحمد لله واحضر للسفر لأستراليا في الفترة القادمة ان شاء الله

باسل:

-وفقك الله ورزقك كل الخير،أتمنى ان يجمعنا لقاء قريب في لندن.

سلمان:

-ان شاء الله،في رعاية الله
باسل:
-في رعاية الله وحفظه.
حتى في غيابها عن أهلها،حريصة هي دوما ان تطلعهم على تصرفاتها أولا بأول،تشاركهم الرأي تستأذنهم ولا تخفى عنهم شيء.
ميرال:
-معسكر طبى في كينيا لمدة أسبوع فقط يا أبي مع زملائى واستاذتى.
عاصم:
- وعملك في لندن؟
ميرال:
-المعسكر ضمن الأنشطة الخارجية للمستشفى
علياء:
-يا بنيتى هذه البلاد اجواءها خطيرة.
ميرال بابتسامة :
-امى ،إنه عمل انسانى لتقديم الرعاية للامهات الحوامل والأطفال المرضى ،سنؤدى عملنا بالتعاون مع مشفى جامعة ايجرتون بكينيا .

عاصم بتفهم:
-من يناقشك رولا لابد ان يقتنع ،موافق حبيبتى.
ميرال بسعادة:
- شكرا يا اجمل اب.
علياء :
-نعم اجمل اب وأنا قلقة عليكى
ميرال بحب:
-امى الحبيبة التي غرست بقلبى حب الخير لا يقوى قلبها على منعى عن الخير.
عليا برضا:
-حفظك الله يا قلبى ووفقك للخير
ميرال:
-سنكون دوما على اتصال ان شاء الله.
ميرال لنفسها بسعادة: الحمد لله سأذهب إلى كينيا أخيرا،لأول مرة في افريقيا بيئة لم احتك بها من قبل. واحتضنت عروستها الجميلة التي لم تتخلى عنها منذ طفولتها لتستمتع باحلامها الوردية.
علياء محدثة عاصم:
-ألا ترى أنك تلبى دوما رغباتها !

عاصم بحب:
- وهل مثل ميرال يرفض لها طلب؟! ميرال العاقلة الناضجة الطموحة المجتهدة المقنعة،عاهدت ربى منذ رزقنا بها ان احسن تربيتها واسعدها واثق ان الله لن يخذلنا فيها .
علياء بدموع:
-اتعلم حين يكون جزء من قلبك بعيدا
عاصم مقبلا يديها :
-وأنا يا عليا
دفنت عليا رأسها في صدره:
-أنت حبيبى وصديقى واخى وزوجى ورفيق عمرى.

بعد ان اطمأن باسل على اهله واخبرهم برحلته إلى كينيا،بدأ بإعداد حقائبه استعدادا لرحلة طويلة.
الرحلة المغادرة من مطار هيثرو إلى العاصمة الكينية نيروبي الإقلاع بعد نصف ساعة،هكذا كان الإعلان في ساحة المطار

بعد انهاء إجراءات السفر ووضع الحقائب توجهوا إلى مقاعدهم بالطائرة ليردد باسل مندهشا :ميرال
عمار :
- د.ميرال طبيبة بقسم النساء والولادة زميلتنا بالمشفى ،هل تعرفها؟
باسل ضاحكا بسخرية:
-أغلب مواقفى معها لا تمر بسلام.
عماربتلهف :
-أخبرنى ماذا حدث؟
باسل بتساؤل:
-في القاهرة أم لندن .
عماربدهشة:
-وهل كانت هناك مواقف في القاهرة؟!
باسل بشرود:
-نبدأ من لندن،كانت هناك مريضة حامل بالشهر السابع تعانى من ضيق بالصمام الميترالى ولديها صعوبة في التنفس واحتمالية ان يحدث لها ارتشاح رئوى خاصة مع الحمل عالية وتم عرض الحالة على وكانت وجهة نظرى التدخل الجراحى لإنقاذ

حياة المريضة وتقليل المضاعفات ولكن د.ميرال قالت:

-هذا هو الطفل الأول للمريضة بعد سبع سنوات من عدم الانجاب،تعرضها للجراحة الآن يهدد بولادة طفل لم يكتمل نموه بعد وسيتعرض لمشكلات صحية عديدة حتى مع وضعه برعاية الأطفال المبتسرين،وكان ردى عليها:

-هذه وجهة نظرى.

فردت بغضب:

-دوما الجراحين متعجلين لاجراء العمليات حتى لو كانت هناك حلول أخرى تناسب المريض.

فزاد غضبى وقلت:

-هذا عملهم وهم أدرى به ،أنت ما شأنك.

ردت ميرال بضيق:

-شأنى انى مسئولة عن رعاية المريضة وطفلها والحفاظ على حياتهما معا.

فتهتفت بغضب:

-استشيرى طبيبا آخر غير متعجل وتركتها ورحلت عمارضاحكا:

-الطب مدارس وكل مدرسة هدفها صحة المريض وحياته ،تختلف الآراء والوسائل ولكن الهدف واحد،اختلاف الرأي لايفسد للود قضية .

باسل:

-لوكنت مكانى وأنت جراح قلب وصدر مثلى ،ماذا تفعل؟

عمار:

-اناقشها بهدوء واستدعي أطباء اخرين ونستمع للأراء ونطلب رأى المريضة محاولا الحفاظ على حياة المريضة،حتى وان اضطررت للانصراف ،استئذن وأغادر بهدوء

باسل بحنق:

-هي من استفزتنى بكلامها.

عماربصبر:

-المهم،هل تابعت ما حدث للمريضة بعد ذلك؟هل اعتذرت لميرال؟

باسل:

-لم أتابع ولم أتذر،تم عرض المريضة على طبيب آخر لمتابعتها .

عمار:
-وزميلتك الا تستحق الاعتذار؟!
باسل:
-عنيدة ومكابرة ومستفزة،لماذا اعتذر؟!
عمار:
-حق الزمالة ،متى اتيحت لك الفرصة يا صديقى اعتذر لها.
اراح باسل ظهره لمقعده مفكرا فيما قاله عمار......
نظرت إلى المكان الجالس فيه باسل وعمار ووجهت حديثها لميرال:
-الرجل الذي اغضبك معنا في هذه الرحلة.
ميرال بضيق :
-هو جراح قلب وصدر ونحن طبيبات نساء وولادة ،لا شأن لنا به.
لورين:
-مصري هو أليس كذلك؟
ميرال بشرود:
-نعم ،نفس الجامعة ،نفس المدينة،حتى عندما اتيت لبريطانيا وجدته بنفس المشفى.

لورين بتسائل:
-أكيد ألتقيته قبل ذلك مرات.
ميرال متذكرة أيام القاهرة :
-اول مرة كانت في محاضرة د.امجد، حينما خرجت لاحضار مشروب الشيكولاتة الساخنة، لأجده عندما عدت، بدل مكان حقيبتى ليحجز لزميله مكانا بجواره.
لورين ضاحكة:
-وماذا فعلتى به ؟
ميرال بضيق:
-جلست في مكان آخر وامرى لله.
لورين ضاحكة:
-مسالمة أنتِ.
ميرال:
-لا ياحبيبتى .رددتها له ،كنت أحضر ورشة عمل ل اليسفير عن البحث العلمى برفقة الجميلة ليلى والعزيزة سيمون ،وكانت القاعة مزدحمة ولم نجد الا ثلاثة أماكن شاغرة بأحد الصفوف الامامية وانتقلنا إليها لأجده هو يحجز الأماكن الثلاثة

لأصدقائه بحقيبته،ازحت الحقيبة ودعوت صديقاتى للجلوس وعندها نظر إلى بغضب قائلا:
-هذه أماكن اصدقائى.
رددت عليه بلامبالاة :
-المكان بمن حضر أولا .
لورين بشغف:
-ماذا فعل؟
ميرال ضاحكة :
-نظر الينا بضيق وصمت .
لورين:
-المرأة لا تنسى من ضايقها.
ميرال:
- صحيح،ولا من اسعدها.
لورين بحنين:
-تشتاقين القاهرة؟!
ميرال بهيام:
-كشوقك لصفاقس ،أيامها ولياليها ،اهلنا واصدقائنا،ضحكاتنا ودموعنا ..حتى دموعنا نشتاقها أحيانا.

لورين:

-اشتاق ليلة قمرية على شاطئ صفاقس الجميلة واوراق الأشجار تتراقص على نسمات البحر الرقيقة وصوت بدر وهو يهمس:

ياليلُ ، هيجتَ أشواقا أداريها   فسلْ بها البدرَ : إن البدر يَدريها

رأى حقيقةَ هذا الحس غامضة   فجـــاء يظهرها للنـاس تشبيهـا

في صورة من جمال البدر ننظرها   وننظر البـدر يبدو صورة فيهـا

لورين ودموعها الرقيقة تسيل على وجنتيها:

-بدر...ربما نسى تلك الأيام والليالى.

اشفقت ميرال عليها كثيرا،لا تريد ان ترفع عنها درعا تعلم ان تحته جرح مفتوح وعميق.

ميرال:

-ما رأيك في غفوة صغيرة

لورين بابتسامة :

-حسنا،أحلام سعيدة .

غفوة كانا يحتاجاها بشدة هروبا من عناء السفر والذكريات

المضيفة:
-استعدا للهبوط في مطار نيروبي بعد حوالى نصف ساعة .
لورين بسعادة:
-حسنا.
هبطت الطائرة في مطار نيروبي بسلام واستقلت المجموعة الحافلة الخاصة بهم وتوجهوا من نيروبي العاصمة إلى مدينة ناكورو –احد أكبر المدن الكينية-الطريق إلى ناكورو يستغرق قرابة الساعتين،هذا ما قاله السيد حسين،رجل متوسط القامة قوى البنيان تبدو على ملامحه الطيبة والبساطة ،كينى، درس في الازهر الشريف ويعمل مرشدا سياحيا وسيرافقنا في هذه الرحلة حسب قوله. على جانبي الطريق الطويل اصطفت أشجار الاكاسيا والصنوبر وحشائش السافانا لتجعل من طريقنا إلى ناكورو رحلة مميزة.
اجوان بدهشة:
-لما زرنا كينيا بالذات ياعمار؟
عمار:

-على ما اعتقد نظرا لان كينيا كانت احدى المستعمرات البريطانية ونالت الاستقلال في أكتوبر 1963م وهذا من قبيل التعاون الاستراتيجي بعد الاستقلال.

اجوان بحزن :

-وهل يبالى المحتل لما اقترف يوما؟!

عمارباشفاق:

-لن اطلب منك ان تنسى الواقع،تنسى أنك اردنية من أصول فلسطينية،كل ما اطلبه منك الامل يا اجوان ..الامل ان تعود الديار يوما لأصحابها..ان يعود الحق المسلوب لأهله..

اجوان بحزن:

-ربما لانعود نحن،ربما يعود أطفالنا أو احفادنا لكن حتما سنعود باذن الله.

مقر اقامتهم عبارة عن فندق انيق التصميم قريب من حديقة بحيرة ناكورو الوطنية حيث الطبيعة الساحرة أشجار وزهور وطيور مغردة.

ميرال باجهاد :

-اشتاق للنوم لورين.
لورين باشفاق :
-نطمئن على حقائبنا وننام .
السيد حسين مخاطبا المجموعة:هوجامبو –مرحبا باللغة السواحلية-نتمنى لكم إقامة طيبة في مدينة ناكورو وننتظركم على عشاء على شرف استقبالكم.
لورين:
-رولا،استيقظى سنتأخر على العشاء .
ميرال:
-حالا استيقظ ،جائعة أنا للغاية.
ارتدت لورين فستانا ورديا طويلا وحجابا ابيض بينما ارتدت ميرال فستان ازرق بلون البحر وحجابا زهرى،ونزلنا إلى بهو الفندق ليجدوا المجموعة كاملة ،رحبوا بالزملاء وبدأت مأدبة العشاء.
ميرال بضيق:
-انظرى لورى من يجلس امامى ،إنه هو.
لورين باندهاش:
-د.باسل ،اهدئى لا يوجد ما تتشاجران عليه اليوم حتى الان.

ميرال:
-إنه ينظر نحوى.
لورين:
-دعينا نستمتع بالعشاء.
كانت مائدة كبيرة بيضاوية الشكل،جلس كل منهم
إلى مقعده ولكن باسل لم ينتبه أنه اختار المقعد
المقابل لها مباشرة الا حينما اصطدم بعينيها.
باسل:
-لا أدري لما لم اراها قبل اليوم.
عمار:
-من هي يارجل؟
باسل هامسا:
-ميرال
عمار بابتسامة:
-كنت تتشاجر معها فحسب.
وكان باسل يتوسط عمار والسيد حسين،فسأله باسل :
-ما اسم هذا الطبق سيد حسين،طعمه يبدو مألوفا.
السيد حسين بابتسامة:

-اريو-احد اشهر الاكلات الكينية- وهو عبارة عن خليط من البازلاء الخضراء والبطاطس المهروسة بالإضافة إلى الذرة.
عماربمرح:
-وهذا الطبق سبانخ بالتأكيد.
السيد حسين ضاحكا:
-أتقصد السوكومايكى،أنه من الكرنب ويشبه أوراق اللفت الخضراء ويطبخ مع الطماطم والبصل.
اجوان ضاحكة:
-ان أحببت السوكومايكى، عمار سأطبخه لك كل يوم.
ضحك الجميع واكملوا عشاءهم وسط جو من البهجة والمرح،وعقب نهاية العشاء خرج البعض يتنزهون في حديقة الفندق وبينما خرج باسل للحديقة وجدها جالسة على العشب الأخضر تحت أحد أشجار الاكاسيا ،توجه إليها قائلا:
-مساء الخير د.ميرال.
-مساء النور،اهلا د.باسل
باسل بابتسامة:

-أتمنى الا يزعجك وجودى.
ميرال بلطف:
-لا ابدا تفضل.
وجلس باسل بالقرب من منها على العشب
باسل بامتنان:
-شكرا لك،كيف حالك الان؟
ميرال :
-الحمد لله بخير
باسل:
-الجو لطيف جدا والطبيعة هنا رائعة.
ميرال بابتسامة:
-نعم،أتمنى ان يكون معسكرا طيبا موفقا.
التفت نحوها وبادرقائلا:
-اعتذر اليكى عن موقفى الأخير في لندن،أنت زميلة ولكى كل الاحترام والتقدير،ارجو ان تقبلى اعتذارى.
نظرت إليه ميرال بدهشة واومأت برأسها بقبول الاعتذار
باسل بأدب:

-شكرا لك ،أتمنى لك ليلة سعيدة تصبحين على خير.

نادرا ما يعتذر الرجل وحينما يعتذر،يظن ان ما فعله يستحق الاعتذار فعلا،فما بالك لو كان رجلا مكابرا مثل باسل الألفى..ما جعلها تندهش من اعتذاره هو التوقيت..لقد مر قرابة شهر على هذا الموقف..لماذا الآن؟

في الصباح وبمنتهى النشاط والحيوية بدأ العمل بمشفى جامعة ايجرتون،متابعة للحوامل بالعيادة ،ثم إلى كشك الولادة،ومنه إلى الطوارئ لتتفاجأ حالة تتألم بشدة ،سألت الطبيبة المسئولة عن الحالة فأجابت:

-مريضة صومالية عمرها خمس وثلاثون عاما لديها ثلاثة أطفال وهذا هو الحمل الرابع وتم تشخيص المشيمة الملتصقة انطلقوا إلى غرفة العمليات لتجرى د.كاترين- استشارى النساء والتوليد - القيصرية للمريضة وبعد ان نجحوا بإخراج الطفلة،واجهوا نزيف لا يتوقف،بذلوا كل السبل

لايقاف مصدر النزيف ولا جدوى وتوفيت المريضة.

ميرال التي شاهدت الكثير من الحوادث والعمليات،لم تتمالك نفسها من الألم والاجهاد وجلست على الأرض تتذكر كم مات من مرضى امام عينيها أطفالا ونساءا، شبابا وشيوخا ،في الطوارئ ،في الرعاية المركزة،فى العمليات..أظن ان الأطباء ربما يكونوا اكثر ناس تواجه الموت كل يوم،العمر قصير بين لحظة ميلاد ولحظة رحيل،وما بين اللحظتين كم ظلمنا من بشر،كم جرحنا من قلوب رقيقة،كم سالت دموع أبرياء بسببنا،كم عذبنا من انفس طيبة،كم خذلنا من احبة.اخذت تبكى وكأنها تبكى كل من فارق الحياة امام عينيها،ترى من يبكينا يوما؟! ربما ذاك الذي خففت المه يوما وربما تلك التي ساعدتها بمالك ووقتك وربما هؤلاء الذين أدخلت السرور على قلوبهم ،ربما مظلوم نصرته على ظالمه وربما انسان حزين مكروب كنت له عونا.

يوما حافلا،قائمة جراحات القلب والصدر طويلة
ومتنوعة،بينما هو ذاهب لرعاية الأطفال حديثى
الولادة ليطمئن على حالة خرجت من العمليات منذ
قليل، تفاجأ بوجود ميرال امام أحد الأطفال تنظر
إليه بحنان، تبتسم والدموع بعينيها.
سأل الممرضة الموجودة فأخبرته ان والدة الطفلة
توفيت اثناء ولادتها.
اقترب من ميرال هامسا:
إنّ الطـبـيـــــب بطبـّه و دوائــه
لا يستطيع دفاع نحب قد أتى
ما للطّبيب يموت بالدّاء الــــذي
قد أبرأ مثـــــــــله في مضى
نظرت إليه ميرال بحزن وانصرفت.
كان اليوم التالى رحلة سفارى اعدت خصيصا
للمجموعة في حديقة بحيرة ناكورو الوطنية تلك
الحديقة الرائعة بمناظرها الساحرة والاحراش الكينية
الرائعة التي تعد جنة الحياة البرية بغابات الصنوبر
الكثيفة وحشائش السافانا.جلس على العشب الأخضر
مستندا على احدى أشجار الاكاسيا المنتشرة في

كينيا،يتأمل الحياة البرية الزراف والفيلة ووحيد
القرن والحمار الوحشى،البجع وطيور الفلامنجو
والغرنوق، يشعر بروحه حرة طليقة بلا هموم بلا
قيود ،نسمات الهواء باردة رقيقة منعشة تمحو عن
القلب أياما وليالى من القلق والسهر،بينما هو غارق
في تأملاته،لوحا عمار واجوان له من بعيد.
عمارواجوان كهذه العصافيرجميلة الألوان التي
يطلق عليها طيورالحب،طيور شديدة التعلق بشريكها
وان فقدته تعانى كثيرا ولا تقبل طائرا آخر وهي أحد
اصغر انواع الببغاوات في العالم وتعتبر من الطيور
الأكثر وفاءً وإخلاصاً لشريكها، قفزت صورة ميرال
إلى ذهنه ،قام يبحث عنها في الحديقة،كل افراد
المجموعة يستمتعون بالاجواء الرائعة وإذ به يجد
ميرال تحتضن طفلة كينية تبكى بشدة وتهدهدها
مرددة بصوتها الدافئ

little child

you must show the way

to a better day

for all the young

cause you were born
for all the world to see
that we all can live
with love and peace
no more presidents
and all the wars will end
one united world
under god
when the children cry
let them know we tried
cause when the children sing
then the new world begins

نامت الطفلة على صوت ميرال الحنون واتت والدتها لتحملها وتشكر ميرال، ميرال تلك الانسانة الجميلة الرقيقة التي لم يعرفها الا في كينيا ،قلبه يرجوه ان يحدثها وينعم بقربها وعقله يحذره بشدة

،ولكنه لبي نداء القلب وتوجه إليها ،نظرت إليه
بابتسامة قائلة :
-مرحبا د.باسل كيف حالك؟
باسل بسعادة :
-الحمد لله،يوم ممتع هادئ.هل تعرفين جدول الأيام
القادمة؟
ميرال :
-ثلاثة أيام من العمل في المشفى ويومان محاضرات
وورش عمل لطلاب الطب في جامعة ايجرتون.
باسل بتفكر:
- ينتظرنا عمل شاق.
قاطعته ميرال بحماس:
-لكن ممتع،ان يجعلك الله سببا في تخفيف معاناة
انسان،فرحة اسرة بمولود جديد،عودة اب
لأولاده،ضحكة طفل مريض فرحا بالشفاء،لحظة
سعادة واحدة تمحو ساعات من الألم.
حديث مع امراة كهذه يجذبك لتفتح الف موضوع
وموضوع ،لتسمع لآلئ وماسات من محاربة بسلاح

الكلمات ،عميقة كالبحار،رقيقة متألقة كنجمات الاستر.

ميرال بتساؤل :

-د.باسل فيما شردت؟

باسل:

-ألا توجد دورللكتب قريبة من هنا ؟

ميرال:

- لا اعرف،هل تحتاج كتابا معينا.

باسل:

-لديك كتب في الفندق.

ميرال:

-رواية أوقات عصيبة لتشالز ديكنز وكتاب غريب في بلاد غريبة.

باسل :

-انيس منصور رائع في ادب الرحلات.

ميرال:

-ألا تقرأ الروايات؟!

باسل:

- الروايات اغلبها سطحية ،عالم من الأوهام ،لا تضيف للقارئ الكثير.
ميرال بضيق:
-الرواية فن يختلف باختلاف الروائى واختياره للفكرة واجادته في توصيلها لقلب وعقل القارئ،هناك روايات تاريخية وأخرى عن قصص واقعية،الرواية أداة لتوصيل معنى .
باسل بحرج :
-اعتذر اليك ،لم اقصد ......
قاطعته ميرال:
-لك مطلق الحرية في التعبير عن رأيك.
حينها اتى عمار واجوان ليدعوهم لتناول الغداء.
هكذا هو باسل يضيع منه الفرص وبدلا من ان يصلح الأمور افسدها.
عندما شعر بالضيق،حكي لعمار ماحدث،رد عليه عمار ضاحكا:
-ألا تجيد ابداء الرأي بلطف بذوق.
باسل:
-معك حق كانت مهذبة ولطيفة وأنا افسدت الحوار.

في المساء كان يبحث عنها بين الوجوه حتى رمقه
عمار بنظرة ساخرة قائلا :
-عمن تبحث؟
باسل بتردد:
-د.سام.
اشار بيده حيث يجلس د.سام وعدد من
الزملاء،انضم للحديث معهم ولكن قلبه ظل مشغولا
بها يتمنى ظهورها ولولحظات ليطمئن عليها،انهوا
حديثهم وصعد الجميع للراحة وبقي ينتظرها عند
مدخل الفندق حتى رأها قادمة بصحبة زميلتها
التونسية ويبدو عليهما الاجهاد،سألهما مندفعا:
-اين كنتما؟!
لورين وهي تلتقط أنفاسها:
-احدى عاملات الفندق حامل واصبيت بنزيف
مفاجئ وذهبنا معها إلى المشفى للاطمئان على
صحتها،وصعدا إلى غرفتهما بهدوء.
ميرال بضيق:
-عجيب امر باسل هذا،هل يعتقد نفسه ولى امرنا؟!
لورين:

-لاحظ غيابنا فسأل يطمئن علينا.
ميرال:
-ولماذا يلاحظ غيابنا من أساسه؟
لورين:
-لأنه يهتم بك ويبحث عنك.
ميرال:
-ولماذا يبحث عنى؟
لورين:
-اسألى نفسك.
سكتت ميرال وبدأت تفكر في كلام لورين،ما حكاية باسل هذا؟ماذا يريد؟ نعم اعتذر مرة ولكنه تكلم بأسلوب غير لطيف بعد هذه المرة..جسدها منهك بعد الزيارة الأخيرة للمشفى،اكثر ما تحتاج إليه الآن هو الراحة،وربما تجيب الأيام القادمة عن اسئلتها.

مرت ثلاثة أيام من العمل الجاد في المشفى الكينى،اكثر ما يدخل السرور إلى النفس هي تلك السعادة المتراقصة في عيون أمهات استقبلت فلذة

كبدها بعد طول انتظار،جو من البهجة والمشاعر الدافئة بين اهل ناكورو الطيبين.
حماس ورغبة في التعلم في عيون الطلبة هكذا كانت المحاضرات وورش العمل،انصات وانتباه يثيرالاحترام،احتراما لرغبة جيل في طلب علم يرتقى بالحياة،اعتقد أنه متى امتلك المرء رغبة صادقة وإرادة قوية فقد امتلك زمام الطريق وعليه السعي.
في اخرأيام زيارة لكينيا،قرر باسل وعمارواجوان القيام بجولة بتسوق صحبنا بصحبة السيد حسين في سيارته وبعد حوالى ساعة من السير في الطرقات الغيرمعبدة،اغلق الطريق جمع من الناس،ترجلوا من السيارة ليعرفوا ما الامر؟
فاذا به أحد عمال البناء قد سقط من اعلى رافعة بناء في أحد مواقع الانشاءات القريبة،اقترب باسل ليتفحص التنفس والنبض وهتف بعمار:
-إنه يعانى من تجمع دموى حول الرئة نتيجة السقوط من ارتفاع ،لابد من نقله حالا إلى المشفى ،اطلبوا الإسعاف.

السيد حسين بأسف:
-اقرب مشفى من هنا يبعد حوالى ساعة بالسيارة،واقترب من أحد زملاء العامل هامسا:
-لا يمكننا نقله للمشفى ،انه عامل صومالى بسيط لديه خمسة أبناء ولا يحمل أوراق إقامة شرعية هنا.
باسل بحزم:
-أنا اتحمل مسئوليته.
السيد حسين:
-لا تقحم نفسك بالمشاكل د.باسل.
اتجه باسل مسرعا إلى السيارة ليحضرأدوات الطوارئ التي يحتفظ بها دوما في رحلاته ،ساعده عمارفى تركيب انبوبة صدرية لتفريغ النزيف والحفاظ على تنفس المريض وقامت اجوان بتعليق المحاليل للمريض وحملوه إلى السيارة وتوجهوا بأقصى سرعة إلى مشفى ايجرتون.
تم إعداد غرفة العمليات فورا والتحضير لجراحة عاجلة،وبينما باسل بالتعقيم اخبره السيد حسين بأن الرحلة إلى لندن تم تقديم موعد مغادرتها وتم ابلاغ الركاب وعلى التوجه للمطارفى خلال ساعة،رفض

السفر واصر على اجراء العملية للمريض والاطمئنان على حالته،وطلب من عمار وزوجته اللحاق بالمجموعة في المطار
عمار موضحا:
-ان تأخرت عن موعد الطائرة ستتحمل نفقات عودتك إلى لندن على حسابك الشخصى.
باسل بهدوء:
-اذهبا ولا تتأخرا سأتكفل بالامر.
المجموعة كلها بمطار نيروبي في انتظار الطائرة المتجهة إلى لندن،بعد ان تم تقديم موعد الرحلة ساعتين لأسباب غيرمعلومة. كان د.سام ود.كاترين يتحدثان مع الطبيب عمار ويبدو عليهم القلق.
د.سام بدهشة:
-أحقا ما قلت؟
عماربقلق:
- نعم،باسل اصر على اجراء العملية للمريض الصومالى المقيم بطريقة غير شرعية هنا ،واخبرنى انه سيتكفل الامر.
د.كاترين بتعجب:

-امر المريض وامر السفر.
عمار:
-نعم.
د.سام بتساؤل:
-لماذا يعرض نفسه للمسائلة عن هذا المريض،يكفيه إسعافه ويستدعى أحد الاخصائيين ليجرى العملية.
عمار باجهاد:
-حاولت إقناعه بلا جدوى.
د.سام:
-هذا هو باسل الالفى ، عينا نسر و قلب أسد و يد امرأة ،هكذا هو الجراح الجيد كما يقول المثل الانجليزى.
استمعت ميرال إلى حديثهم وبداخلها سؤال تبحث له عن إجابة
هل من يتحدثون عنه باسل بحديثه الحاد وصوته العالى،أم باسل آخر لم تعرفه بعد.
ان كان في هذا النبل،لماذا يتعامل معى هكذا؟

الفصل الخامس

شىء فى القلب

هذا العالم غارق في الآلام والمآسي من رأسه إلى قدميه، ولا أمل له في الشفاء إلا بيد الحب

جلال الدين الرومي

باسل الذي رحل إلى كينيا ليس كالعائد منها ،شيء ما قد ولد بداخله أو ربما استيقظ، شيء بدأ يسري في قلبه ويضخ في شراينه، شيء لم يتبين ماهيته بعد كتلك السحب التي تعانق الطائرة التي تصحبه الآن.

بعد أن تمت الجراحة بنجاح واطمئن على صحة المريض، رافقه أحد مندوبي السفارة البريطانية إلى مطار نيروبي ليطمئن على إجراءات السفر بنفسه،كم كان ممتن لذلك الرجل الطيب فقد يسر له الكثير،ولكنه الآن يشعر بالوحدة، عمار ذلك الأردني الجميل الذي اعتاد صحبته طوال السنة التي قضاها في لندن، رفيق لطيف مهذب ربما خفف عنه غياب خالد، خالد الذي كلما ذكره شعر بغصة في قلبه.

....

عندما رأته عند مدخل المشفى تذكرت أن صورته في ذهنها تغيرت، صارت ترى فيه إنسان نبيل تحاول التعرف عليه

قلبها يسألها:لماذا تحاولين التعرف عليه؟

ويجيبه العقل:مجرد فضول وحسب.

ليرد القلب:أخشى أيها العقل أن تلغي كياني، أن تصم آذانك عن دقاتي، أن يعمى بصرك عن ومضاتي .

العقل:أعدك أن أسمعك وأناقشك.

القلب:ستغلبني بمنطقك.

العقل:سأمنحك حرية التجربة.

القلب:ولكنك ستلومني إن أخفقت.

العقل:أعدك أن أدعمك وأساعدك حتى أجعل منك قلب يعقل.

ولكن صوته قطع تتابع أفكارها

باسل:

-صباح الخير د.ميرال كيف حالك؟

ميرال :

-الحمد لله بخير. حمدًا لله على سلامتك

باسل:

-سلمك الله.

ميرال:

- كيف حال مريضك في كينيا؟

باسل:

- الحمد لله حالته مستقرة وإن شاء الله يغادر المشفى قريبًا.
ميرال بإعجاب:
- قمت بعمل رائع.
باسل :
-حياة إنسان ومستقبل أسرة ألا يتطلب إنقاذه؟!
هل أبدو لكِ سيئًا قاسي القلب؟!
ميرال بابتسامة:
-الصدفة القاسية بداخلها لؤلؤة جميلة.
باسل:
-يبدو أن رأيكِ في قد تغير.
ميرال:
-المواقف السابقة التي جمعتنا لم تكن طيبة.
باسل:
-أعتذر لكِ عن كل ما مضى وأتمنى أن نبدأ صفحة جديدة في تعاملنا كزملاء.
مضت الأيام والليالي، بين عمل واجتهاد..بحث ودراسة ..تحسنت أحوال شركاتهم في القاهرة واستقرت الأمور ولكن قلبه أبي أن يهدأ أو يستقر،

كلما رآها يتمنى محداثتها، يختلق الأسباب ليلتقي عيناها، شيء ما بداخله لا يفهمه أو ربما يخشى مواجهته، ربما يحتاج عقله للمزيد من العمل كي يردع قلبه عن هواجسه

ولكن ظهور ذلك الشاب برفقتها- شاب ذو بنية قوية متوسط الطول ذو بشرة بيضاء وعينان زرقاوين- كان يجالسها في مطعم المشفى ويبدو أنها سعيدة بوجوده ابتسامتها الصافية وملامحها التي تدل على مكانة ذاك الشاب في قلبها ..اشتعل قلبه وعقله يسأل؟ هل هذه غيرة ؟ هل أحببتها حقًا ؟

أسرع بإرسال رسالة عبر البريد الإلكتروني إلى أخيه خالد يطلب منه معلومات عن عاصم أكرم المعز وأرقام هواتفه و سأله خالد لماذا يريد هذه المعلومات وما فائدتها؟ ولكنه طلب منه أن يساعده أولًا وسيشرح له فيما بعد.

في غضون أيام صار لديه كل ما يحتاج من معلومات وأسرع بمهاتفة عاصم المعز

باسل:

- السلام عليكم د.عاصم المعز

عاصم:
-وعليكم السلام نعم ، من يهاتفني؟
باسل:
- باسل نبيل الألفي جراح قلب وصدر في مشفى بلندن
عاصم :
-مرحبًا د.باسل تشرفت بمعرفتك، كيف حصلت على رقم هاتفي؟
باسل:
- سألت عن سيادتك وحصلت على الرقم من بعض معارفك، هل يمكنني أن أطلب شيئًا؟
عاصم:
-بترحاب تفضل يا بني
باسل:
-والدي يرغب في زيارتك للتحدث معك في أمر هام
عاصم:
- على الرحب والسعة د.باسل فليهاتفني ونحدد موعدًا مناسبًا
باسل:

- شكرًا جزيلًا د.عاصم
عاصم :
-الشكر لله يا بني في رعاية الله.
شعر براحة كبيرة وأسرع بمهاتفة والده وإخباره برغبته في خطبة ميرال وإرسال المعلومات عن أسرة ميرال لوالده
ميرال عاصم أكرم المعز طبيبة مهذبة مجتهدة تعمل معي بنفس المشفى بلندن والدها أستاذ للشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر وكذلك والدتها ،لا أخوة ولا أخوات لديها وحالتهم المادية ميسورة وهم أسرة متدينة خلوقة.
تعجب والده من رغبته في سرعة إنجاز الخطبة ولكنه دعا له بالبركة والتوفيق.

أخبرها شريف صباحًا بمجيئه إلى لندن لزيارتها وقضاء إجازته معها ، سعادة غامرة امتلأ بها قلبها وطلبت منه اللقاء بمطعم المشفى.
ميرال بحب:

-شريف أخي الحبيب حمدًا لله على سلامتك كيف حالك في كندا؟
شريف بحب:
-اشتقت إليكِ كثيرًا أنا بخير والحمد لله، الأمور في كندا تسير بشكل طيب
ميرال بحماس :
-أخي طبيب القلب المبدع ينتظرنا برنامج ممتع لقضاء الإجازة أليس كذلك؟
شريف ضاحكًا:
- تمني أنتِ رولا وأنا أنفذ.
ميرال بسعادة:
- حفظك الله وبارك فيك ، دمت لي أخًا وصديقًا.
وعدها بعشاء فاخر ونزهة ليلية ممتعة ثم توجه لفندق إقامته كي ينعم ببعض الراحة
كانت كفراشة تحلق في أجواء البهجة والسعادة،شريف يعني لها السعادة والأمان،تتوهج عيناها ببريق خاص عندما تراه،وجوده في دنياها يعنى الدعم والسند،شخص يمكن ان تصارحه بما يدور في عقلك وقلبك دون نقد سلبى او سخرية.

أنجزت أعمالها وهي تحصي الساعات والدقائق ليحل المساء وتنعم بجائزتها التي انتظرتها طويلًا.
وعد فأوفى .. هذا هو شريف ..عشاء رائع في فندق أنيق وحفل موسيقى كلاسيكية ممتع.
ميرال بسعادة:
-كيف عرفت بميعاد الحفلة وكيف حصلت على التذاكر ؟
شريف بحب:
- الانترنت عزيزتى.. اخترت الموعد المناسب وحجزت تذكرتين وجئت إليكِ.
ميرال :
-حفلات عمر خيرت في القاهرة وحفلة في رويال البرت هول في لندن، عاشق أنت للموسيقى.
- لكل شيء في الكون موسيقاه الخاصة كل زهرة وكل شجرة له لحنها الخاص وتنفرد به عمن سواها، كل طير وكل حيوان الكل يعزف مقطوعته ولكن المدهش أن كل المقطوعات و الألحان حينما تجتمع تتكامل معًا لتعزف لحن الحياة.

الموسيقيون في أنحاء العالم يتأملون الطبيعة ويحاولون فهم أسرار موسيقاها الخاصة وإبراز ألحانها للعامة.

- أنت نعمة من الله يا شريف

-أنتم نعمة الله في حياتي، الأم التي أرضعتني وسهرت على راحتي ومنحتني الحب والحنان، الأب الذي عشت بأمان في كنفه والأخت التي منحتني المرح و السعادة ، انظري إلى ذاك الهلال الوليد إنه يشهد أجمل اللحظات التي أقضيها بصحبتك أختي الغالية.

في الصباح كان الاتصال المفاجئ بانتظارها لتخبرها أمها أن طبيبًا زميل في لندن يدعى باسل تقدم لخطبتها.

بينما زياد في المشفى منتظرًا أحد الاستشاريين لإجراء عملية لطفلة أصيبت في حادث.

رأى سيدة بصحبة الاستشاري، متأنقة بشكل لافت تبدو أصغر منه بعشرة أعوام.

زياد موجهًا حديثه لزميله رامز:

-من هذه السيدة؟

رامز بابتسامة ساخرة :

-زوجته الجديدة

زياد بدهشة:

-الجديدة!!

رامز بضيق:

-نعم الجديدة، تزوجها على زوجته طبيبة التخدير، أم أولاده الأربعة

زياد بتساؤل:

-يبدو أنك تعرفها ؟

رامز بحزن:

-نعم عملت معها في فترة الامتياز، شخصية طيبة محترمة متعاونة كريمة

قاطعهما زميلهما وائل:

-الوضع الاجتماعي الجديد ، الحصول على ترقية الاستشاري، حياة جديدة تتطلب زوجة تليق بالمستوى الجديد، زوجته الجديدة ابنة أحد أصحاب شركات المقاولات و الأسمنت من ذوي الأموال والنفوذ.

رامز بتعجب :

-والزوجة التي رضيت به طبيبًا في بداية حياته وتحملت مشوار كفاحه ربت أولاده وحفظت غيابه، أيكون هذا جزاءها بعد اثني عشر عامًا

وائل بضيق:

-يا رامز لم تعد ترقى لمستواه، كل ما يشغلها في الفترة الأخيرك الأولاد والبيت والمطبخ

رامز بغضب :

-امرأة كتلك تنازلت عن الارتقاء بمستواها العلمي ليتقدم هو ، تحملت مشاكل الأولاد ليتفرغ هو للعمل والدراسة ، انشغلت بالبيت ليجد هو مكانًا ممهدًا للراحة، انشغلت بالمطبخ ليهنأ هو و أولاده بطعام شهي

كلمات رامز، أعادت على زياد كلام ليلى في شجارهما الأخير:

-دومًا أنت، زياد، تخرج حينما تريد.. حينما يسمح وقتك حتى لو أنا مشغولة أو متعبة لابد أن أخرج معك ، تتركني وحيدة في البيت يوم إجازتي وتقضي يومك مع أصدقائك لأن هذا حقك وأنا لا حقوق لي ،

تتقدم تنجح ترقى وأنا في انتظار أن تعود إليَّ حينما يسمح وقتك.
دومًا كنت تقول: أريدكِ ليلى أن تتفرغي لحياتنا لبيتنا لنعيش حياة مستقرة ولكن أين أنتِ ؟
بعد نهاية الدوام عاد لمنزله وهو قلق على ليلى وما إن فتح باب الشقة حتى استقبلته أمه بصوتها الحنون:
- زياد حبيبي كيف حالك؟
زياد مقبلًا يديها :
-بخير الحمد لله، أمي.
توجه إلى المطبخ ليجد ليلى تجهز الغداء، اقترب منها وقبل جبينها :
-كيف حال ليلى اليوم؟
ردت باقتضاب:
-الحمد لله.
أعدت ليلى الغداء وجلسوا يتناولوا الطعام في صمت حتى قالت أمه :
-هل من جديد ؟
زياد بلطف :

-الحمد لله ، الأحوال في العمل مستقرة.
ردت أمه بضيق :
-لست عن أسألك عن العمل، أتمنى أن يرزقك الله بطفل يسعدك.
بدا الضيق على وجه ليلى ولم تكمل طعامها واستأذنت لعمل الشاي
نظرت إليه أمه وقالت:
-يا بني إن كانت تؤجل الحمل لانشغالها بالعمل، عليك أن ترفض هذا وإن كانت بها مشكلة تمنع من الإنجاب فلتتزوج غيرها.
نظر لأمه بصدمة وعندها وضعت ليلى الشاى واستأذنت في الراحة بغرفتها.
صمت طويلًا حتى أنهت أمه طعامها وودعتهما وغادرت.
دخل ليطمن على ليلى ليجدها منهارة من البكاء وحدث ما كان يخشاه ، سمعت ليلى كلام أمه وليتها ما سمعته، كانت تبكي بألم ولا تتكلم، اقترب منها ليهدئها ولكنها تركته وذهبت إلى الغرفة الأخرى وأغلقت الباب ولم تجبه ، انتظر أمام الباب علها تهدأ

وتفتح الباب وتسمعه، ولكنها لم تفعل ، ترك البيت
وهو يشعر أن مصيبة ستحل به.
حينما عاد للبيت لا زال بابها مغلق، ترى كيف حالها
الآن، تبكي أم صامتة ، هل نامت وهي غاضبة
منه؟هل تناولت طعامها؟
قضى ليلة عاصفة لم يذق فيها طعم النوم ، استيقظ
متأخرًا ليجد ليلى قد ذهبت لعملها. اطمئن قلبه ربما
تنشغل بالعمل وتهدأ وتتحسن حالتها وتسمعه و
يدعوها على العشاء الليلة في مكان هادئ.
ذهب إلى المشفى وقائمة طويلة من جراحات العظام
تنتظره وبعد نهاية يوم عمل شاق جلس يستريح
قليلًا، وعندها هاتفته أمه:
-حبيبي كيف حالك ؟
زياد بهدوء:
-الحمد لله، أمي
أم زياد:
-هل أنهيت عملك ؟
زياد:
-أصلي العصر وأغادر.

أم زياد:
-انتظرك أمام المشفى .
زياد:
- حسنًا.
ليجد أمه في انتظاره وبصحبتها فتاة متأنقة بشدة ،
سلم على أمه وسألها من هذه؟ فأجابته:
- دلال ابنة مدام دولت ، جارتنا.
مدت يدها تصافحه وصافحها وأخذت أمه تتكلم عن
دراستها وأخلاقها وإتقانها لفنون الطبخ.
وقتها كانت ليلى تمر بسيارتها من أمام المشفى
ورأت دلال هذه، رمقته بنظرة غاضبة وانصرفت.
استأذن أمه وعاد مسرعًا إلى بيته ولكن سيارة ليلى
لم تصل بعد، انتظر بالسيارة والقلق يسيطر على
فكره، حاول الاتصال بها ولكنها لم تجب، بعد
حوالي ساعة وصلت ليلى وعينيها كنيران مشتعلة،
دخلت البيت في صمت ولكنه أمسك معصمها بقوة
هاتفًا :
-ليلى انتظري .
ليلى بجمود:

- انتظر إلى أن تعقد قرانك على الحسناء التي اختارتها والدتك وتحدد موعد الزفاف وتدعوني للحضور.

زياد بصدمة:

- ليلى، اسمعيني...

ليلى بسخرية :

-أسمع ماذا ؟!والدتك تشفق عليك تراك حزينًا مهمومًا بسببي أنا.

زياد بغضب:

- ابنها الوحيد وتتمنى أن تفرح بأولاده، ليلى أنتِ أحببتني باختيارك، لم أطلب منك تضحيات.

ليلى بألم:

-أتعرف حين نضحي نكون أنبل من أن ننال مقابل لما قدمناه.

وها أنا أدفع ثمن اختياري .

وتوجهت إلى غرفتها وأغلقت الباب.

زياد رافعًا صوته بقوة:

- هذا ليس نقاشًا ليس حلًا.

حزن يغتالني
وهم يقتلني
وظلم حبيب يعذبني
ودموع من العيون تجري
جرحت خدّي
أرّقت مضجعي
وسلبت نومي
آه يا قلبي

هل تعرف معنى الخذلان ؟
الخذلان أن تختارك فتاة لتحارب بك الدنيا فتحاربها أنت والدنيا.
قلبها يتمزق من الألم، أكانت هذه إرادة القلب يومًا
أيمكن أن تعيش هذه اللحظة ؟!
أيمكن أن يفارقها زياد؟
لأنها لم يرزقها الله بالأطفال بعد عام من زواجهم ،
ماذا لو لم تنجب أصلًا ؟ حتمًا سيتزوج زياد

وسينجب منها الأولاد ويبقى مع زوجته الجديدة وأولاده.
شعرت بدوار شديد وكأن جسدها يحترق، أسرعت إلى المهدئ الذي تتناوله منذ فترة وصار لا يغادر حقيبتها، لم تدرِ كم قرصًا تناولت ولكنها حصلت على ما تحتاج ، حتى بدت الرؤية غير واضحة والتنفس يزداد صعوبة وغابت عن الوعي.

باسل الألفي.. كيف ؟ولماذا؟
أنهت حوارها مع أمها وطلبت منها مهلة للتفكير والرد عليها وتوجهت إلى المشفى تعمل في صمت وشرود.

لورين:
-رولا،هل أنتِ بخير ؟
ميرال:
- لست بخير.
لورين:

- لنذهب لتناول طعامنا في وقت الراحة وتخبريني ماذا أصابك؟

ميرال:

- لا...لا أريد أن أراه بالمطعم.

لورين:

-من هذا؟

ميرال:

- باسل

لورين:

-باسل جراح القلب الذي طالما اختلفتِ معه.

ميرال:

- وبرغم الاختلاف، تخيلي يتقدم لخطبتي رسميًا من والدي

لورين تكتم ضحكاتها:

- خطبتك؟!

ميرال:

- تصوري لم يتكلم معى بالأمر أو يمهد لي، توجه إلى والدي مباشرة.

لورين :

-هذا يدل على أنه شخص محترم وجاد في طلبه.
ميرال بضيق:
- هذا كل ما يهمك؟!
لورين:
- لا أدري ما يزعجك ؟
ميرال:
- أنا وباسل مستحيل.
لورين :
-ما هو المستحيل؟ ألم يعتذر لكِ في كينيا عن موقفه الأخير ؟! وأعجبك بشدة موقفه النبيل تجاه العامل الصومالي وإصراره على إجراء العملية بنفسه وتأخير سفره وتحمله لنفقات سفره الخاص.
ميرال :
-لا أنكر إعجابي بالموقف ولكن باسل...
قاطعتها لورين:
- إنسان لديه عيوب ومميزات ، يمكن أن تتعرفي عليه عن قرب وتتفاهمي معه.
ميرال بسخرية:
- وأتزوجه وأحبه وتصير حياتي مثل حياة ليلى.

لورين:
-وماذا أصاب ليلى ؟ ألم ترتبط بزياد عن حب كما قلتِ لي ؟
ميرال بحزن:
-ولكن زياد استغل الحب ودفعها إلى التخلي عن أحلامها تحت التنويم المغناطيسي للحب ، ليلى بعد فترة من زواجها لا تبدو سعيدة ،أنا أشعر بها وهي تأبى الشكوى ، لا شك أن تتألم بعد أن تخلت عن أحلامها، لا شئ يؤلم أكثر من حلمك الذي كان بين يديك وجاهدت لتصل إليه ولكنك تركته ذات غفلة.
لورين بصبر:
- امنحي باسل فرصة.
ميرال بحزن:
- أخشى أن أحبه و أثق به ويخذلني ..أخشى الخذلان..أخشى أن أمنحه قلبي وحياتي وأكون بهامش حياته..أخشى الصدمة .
لورين بإشفاق:
-لماذا كل هذه المخاوف؟
ميرال بحزن:

-لست أدري.
لورين :
-ماذا أنتِ فاعلة؟
ميرال:
- سأعرض الأمر على شريف.
لورين:
- وفقك الله للخير.
ميرال:
- يا رب و إياكِ، لورا.
حينما أنهت أعمالها هاتفها شريف ليخبرها أنه ينتظرها أمام المشفى .
توجها بالسيارة في صمت لا تدري إلى أين تذهب ولا تريد الكلام وبعد دقائق وصلا إلى مطعم قريب من المشفى، نظرت إلى شريف وقبل أن تحرك شفتاها أشار إليها بالصمت وبادرها قائلًا :
-أخبرتني أمي بشأن باسل الألفي.
ميرال بضيق:
- وما رأيك؟
شريف بهدوء:

- سألتقي به لأتعرف عليه عن قرب ولكن لمَ القلق الذي يكسو ملامحك؟!
أخبرته بمواقفها مع باسل في القاهرة ولندن وكينيا ، حدثته عن ليلى وزياد ، صارحته بمخاوفها وقلقها، حديث امتد قرابة الساعة وهو منصت لها بهدوء.
شريف:
-هل هدأت روحكِ الآن؟
ميرال بأريحية :
-الحمد لله.
شريف بابتسامة:
- انسي القلق والمخاوف واستمتعي بحياتك.
ميرال:
- بهذه البساطة؟!
شريف:
-أكثر ما تبحث عنه المرأة في حياتها الأمان..الأمان في عملها..مع أصدقائها..وخاصة مع شريك حياتها..الأمان يليه الحنان ثم الحب..لا يمكن للمرأة أن تحب إنسان لم تشعر بحنانه واحتوائه لها وخاصة وقت ضعفها.

أليس هذا ما تبحثين عنه رولا؟
ميرال بشرود:
- نعم، ولكن ما الذي يضمن لك أن الأمان الذي يمنحه له شريك حياتك سيكون حقيقيًا أو سيستمر؟؟
شريف:
-الضامن لصدق الطرف الآخر هو الله،كل منكما يجتهد أن يتعرف على الآخر بصدق ويبقى توفيق الله لكما لتستمر العلاقة.
ميرال:
-العلاقات الإنسانية مجازفة.
شريف:
-ليس كل العلاقات الإنسانية، الحب تحديدًا مجازفة ومغامرة ولكنها قد تكون ممتعة.
ميرال:
-وقد تكون مؤلمة.
شريف:
-الحب للشجعان كما يقول نزار ، الشجاع الذي يعيش التجربة بقلبه وجوارحه دون خوف من العواقب..إن كتب لحبه النجاح فليعش سعيدًا هانئًا،

وإن لم يكتب له التوفيق فليكن درسًا تعلمه واستفاد منه، السفن القوية هي التي تعبر البحار العاصفة ولا تتحطم.

ميرال:

-العقل يتعلم دروس الحياة ويتقبلها بسهولة ويظل يحاول أن يقنع القلب ويخفف من ألمه.

شريف بابتسامة:

-العقل لابد أن يصبر على القلب ويساعده، ليحيا في انسجام.

بينما كان باسل يتناول القهوة في فترة الراحة إذا بطرقات خفيفة على باب الغرفة فتح الباب ليجد ذلك الشاب الذي كان بصحبة ميرال ، جف حلقه ولم يدري ماذا يفعل؟ ولكنه تبسم قائلًا:

-أهلًا بك ، هل تريد مساعدة؟

شريف:

-هل تأذن لي بالدخول؟

باسل:

- تفضل.

شريف:
- أنا شريف محب المهدي طبيب أمراض القلب بأحد المستشفيات بمونتريال في كندا
باسل متصنعًا ابتسامة :
-مرحبًا بك.
شريف بهدوء:
- أود أن أسألك على د.ميرال عاصم.
باسل باندفاع :
-وما شأنك بها ؟ ألم تكن تجالسها في مطعم المشفى الأسبوع الماضي.
شريف ببرود:
- لأني أخوها.
باسل متسائلًا:
-هي ميرال المعز وأنت شريف المهدي.
شريف بهدوء:
-أخوها من الرضاعة.
وحكى له كيف أرضعته والدة ميرال وكيف تربى معها؟

وكأن دلوًا من الثلج سكب على رأس باسل وشعر بحرج شديد من شريف وخاصة أنه كان على وشك الشجار معه.

شريف:

- ما رأيك بلقاء يجمعك بميرال ؟

باسل:

- نعم هذا جيد.

شريف :

- حسنًا سأخبرك بموعد اللقاء.

شعر شريف بالاطمئنان على مستقبل ميرال مع باسل الذي يبدو واضحًا كما أخبره عنه زملائه لا يجيد التظاهر لا يجيد كتم انفعالاته ، الغيرة المتقدة بعينيه حينما سأله عن ميرال وهو لا يعلم أنه أخاها، والسعادة التي كست ملامحه عندما أخبره باللقاء، باسل يحمل في قلبه حبًا لميرال هذا ما بدا واضحًا من حديثه القصير معه.

أخبر والدتهما بكل المعلومات التي جمعها عن باسل ولقائه به، دعت الله أن ييسرلهما الخير ويصرف الشر.

اختار شريف ريجنت بارك لندن مكانًا للقاء، وتقع حديقة ريجنت بارك خلف متحف مدام توسو (متحف الشمع) وتعد من أهم حدائق في لندن وأشهرها حيث يوجد فيها مسجد ريجنت بارك أحد أكبر المساجد في لندن، حديقة غاية في الجمال والروعة تبعث بالراحة والطمأنينة لزوارها،اقترب شريف من ميرال واحتضن كفها المرتعش بين يديه الدافئتين وهمس بحب:

- أنا معك رولا.

ابتسمت برضا وبدأ الهدوء يسري بداخلها ،وما هي إلا لحظات حتى حضر باسل بحلته الزرقاء الأنيقة وشعره المصفف بعناية وابتسامة هادئة تعلو شفتيه.

باسل بأدب:

-مرحبًا د.ميرال كيف حالك؟

ميرال بحرج:

-مرحبًا د.باسل الحمد لله بخير.

قام شريف لمغادرة المكان ليترك لهم حرية الحديث ولكنها تشبثت بعينيه وفهم نظراتها كما عهدته وبقى إلى جوارها.

شريف بلطف :
-لماذا تركت مصر، باسل؟
باسل بشرود:
-أيام طويلة ذكراها تؤلم القلب .
وأردف هل قرأت للدكتور عبد الوهاب المسيري؟
شريف:
- نعم قرأت له كتاب بيجوفتتش.
باسل بشرود :
-هل تذكر قوله(عندما يدرك الناس أن الدولة تدار لحساب نخبة وليس لحساب أمة يصبح الفرد غير قادر على التضحية من أجل الوطن وينصرف ليبحث عن مصلحته الخاصة)
وعندها باغت باسل ميرال متسائلًا:
-لماذا اخترتِ الرحيل؟
ميرال بشرود:
-بين صعوبة الصمود ومرارة الاستسلام اخترت الرحيل.
شريف محاولًا تغيير دفة الحديث:
-مشروبك، باسل.

باسل :

-عصيرتوت.

شريف:

- وأنتِ ميرال.

ميرال :

-عصير الليمون بالنعناع.

شريف:

- تمام وأنا مثلك وطلب المشروبات من النادل.

شريف:

- خطتك المستقبلية كيف تبدو؟

باسل :

-إن شاء الله في طريقي للوصول إلى استشاري جراحة قلب وصدر في لندن وأنتِ ميرال؟

ميرال :

- إن شاء الله اجتاز امتحانات الزمالة مع التدريب وأقدم على وظيفة استشاري.

شريف:

- ماشاء الله يبدو طريقكما مشترك .

باسل:

-لدي شقتي هنا في لندن والحمد لله أموري ميسورة.
شريف :
-الأهم هو التفاهم الحقيقي والقدرة على تحمل مسئوليات الحياة بصبر وتفاني.
باسل:
-د.ميرال، أتمنى أن يتكرر لقائنا.
ميرال:
-إن شاء الله.
وانتهى اللقاء وهموا بالمغادرة ولكن باسل استوقفها قائلًا:
- د.ميرال هل يمكن أن تقبلي هذا وأهداها رواية الآمال الكبرى لتشالز ديكنز.
ميرال لشريف بدهشة :
-أترى ما أهداني باسل، إنها رواية الآمال الكبرى، كيف يهديني رواية وقد قال سابقًا أن أغلب الروايات أوهام، كما أنه لا يحب القراءة.
شريف بتمعن:
- اعتبريها طلب صلح.
ميرال :

-صلح!!
شريف:
- باسل يحمل لكِ حب واحترام وتقدير
ميرال ضاحكة:
-كل هذا بعد لقائين فقط يا شريف.
شريف:
-المعادن النفيسة لا تختلط على العين الخبيرة ،ستثبت لكٍ الأيام ولكن عليكِ الاجتهاد لاستخراجها من قلب باسل.
ميرال:
-معنى كلامك أنك موافق؟
شريف:
-ولماذا أرفض؟إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه،صلي استخارة ولكِ مطلق الحرية في الرفض أو القبول.
وهكذا كما يقولون ألقى شريف الكرة بملعبها ولها حرية التسديد، ودعها شريف ورحل وبقيت وحدها بالبيت بينما لورين في المناوبة بالمشفى ،دوامة من الأفكار تعصف بعقلها، ارتباط وصلة جديدة بشخص

له حقوقه، علاقة إنسانية لها التزاماتها،باسل شخص محترم ناجح طموح كل هذا بميزان العقل
ولكن هل هو الشخص الذي يمكن أمنحه مكانة في حياتي ومكانًا في قلبي؟
هل يمكن أن أثق به وأصدقه؟
هل يمكن أن يكون الصديق والسند والرفيق والحبيب؟
أين الإجابة،يا إلهى؟
صلت ركعتي استخارة واستسلمت لنوم عميق.

أسبوع مر على باسل وهو يدعو الله أن يكتب له الخيرويصرف عنه كل شر،ليأتى اتصال شريف ليلة الجمعة يخبره بموافقة ميرال على الخطبة، حمد الله كثيرًا وصلى ركعتي لله ودعا الله أن يهدي قلبه ويكفيه شر نفسه .
استعدوا للتوجه إلى الفندق الذي يقام فيه حفل الخطبة.
عمارضاحكًا:

- مبارك صديقي الوسيم ولكن لماذا الحلة الزرقاء ألا تبدو البيضاء أجمل ؟

باسل:

-الحلة الزرقاء مع فستانها السماوى سيكون أكثر انسجامًا.

عماربتعجب :

-هل أخبرتك بلون الفستان ؟

باسل:

- لا ولكني أتوقع أعتقد أنها تحب اللون الأزرق السماوي زرقة مياه البحر الهادئة والسماء الصافية

عمار:

- قلبك يحمل لها حبًا عظيمًا.

باسل:

- ولكن هل تحبني هي ؟

عمارمربتًا على كتفه:

- يومًا ما سيفصح قلبها عن حبك.

توجهوا إلى قاعة الاحتفال وسلمواعلى ضيوف الحفل، الأهل والأصدقاء والزملاء حتى أطلت الجميلة ميرال بصحبة أخاها شريف بفستانها

السماوي الذي توقعه باسل كسندريلا الأساطير ،
جلست إلى جواره فاقترب منها هامسًا:أجمل مما
توقع قلبي .
ثم طلب خاتم الزفاف ليزين به إصبعها،كفها الرقيقة
كانت مرتعشة قليلًا رعشة سرت في أوصاله، ود لو
ضمها إلى صدره ليخبرها أنه لها الأمان الذي
تتمناه.
باسل يراها استثنائية تجمع بين الحياء والجراءة ،
تلك التي عرفتها محاربة قوية شجاعة مخلصة تخفي
بداخلها إنسانة في غاية الحياء والأنوثة، قلبه سعيد
بقربها حتى وإن كانت صامتة ، طلب من عقله الليلة
أن يمنحه راحة من أفكار أرهقته، إضافة إلى غياب
خالد عن الحفل لرعاية زوجته المريضة كان كفيلًا
بأن يتناسى ولو قليلا حياة خالد البائسة.
بعد الحفل بأيام طلب من والد ميرال عقد القران
وتحديد موعد الزفاف خلال شهرين ولكنه أخبره أن
ذلك مرهون بموافقة ميرال و ربما لن توافق ، فكر
في طلب مساعدة شريف لإقناع ميرال.رحب شريف
بالأمر ووعده ببذل ما في وسعه.

في اليوم التالي أنهى باسل عمله وتوجه إليها ولكن زملائها أخبروه أنها في عمليات الطوارئ ذهب إلى هناك وظل يشاهد ما تفعله خلف النافذة الزجاجية لغرفة العمليات ،وتساؤلات تدور برأسه..

لماذا أحببتها ؟

هل أحببتها حقًا أم هو مجرد انبهار بشخصيتها الجذابة أحيانا تبدو كفراشة رقيقة وأحيانا كنحلة نشيطة؟

لماذا اقتربت مما تخافه؟

حينما أنهت عملها وجدته في انتظارها ، بادلته ابتسامة هادئة قائلة :

-مرحبًا د.باسل كيف حالك؟

باسل :

-الحمد لله بخير هل أنهيت عملك اليوم ؟

ميرال :

- بقى لي المرور على المرضى وتسليم الحالات للطبيب المناوب.

باسل :

-عمار وأجوان زوجته يريدون دعوتنا على الغداء في مطعم قريب من المشفى ، ما رأيك؟

ميرال بابتسامة :

-جيد أنهي عملي و آتي معك.

أنهت عملها وهي تشعر بالإجهاد ولكن عليها تلبية دعوة أجوان وعمار ، وجدت باسل في انتظارها أمام المشفى وعلى بعد أمتار قليلة، كانا أجوان وعمار في انتظارهما

أجوان بود:

-مرحبًا ميرال ، سعيدة برؤيتك ، كيف حالك؟

ميرال :

-الحمد لله بخير شكرًا على دعوتكم الكريمة.

عمار:

- أتمنى أن ينال المطعم إعجابك.

باسل:

- عمار صديق غالي وسند مخلص.

عمار:

- أدام الله المودة والمحبة.

تناولوا الطعام وكان شهيًا فعلًا وبعد أن أنهوا طعامهم سألها باسل:

-هل أخبركِ شريف بما قلت له؟

ميرال بهدوء:

-نعم.

باسل:

-وما رأيك؟

ميرال:

-د.باسل،اشعر بالراحة تجاهك والسعادة وأنا معك ولكن امنحنى وقت للإعداد للزفاف.

باسل:

-هل هناك ما يقلقكِ بشأني؟

ميرال:

-لم أقصد المعنى الذي فهمته ولكن...

قاطعها بحدة:

-ولكن ماذا؟

لم تتكلم وشعرت بالضيق من أسلوبه معها

ميرال:

-د.باسل، أشعر بالإجهاد هل يمكنني المغادرة؟

باسل:
-لا يمكن أن تغادري بمفردك ، أنا وعمارسنوصلك للبيت.
ميرال:
-شكرًا لك.
كانت صامتة طوال الطريق، أسلوبه معها كان حاد، لم يمنحها فرصة للكلام، حتى بعد خطبتهما، يبدو أنه لن يتغير، سيظل جاف الطباع ، سيء الأسلوب حتى مع خطيبته.
عندما وصلوا إلى بيت ميرال ،استوقفها باسل قائلًا:
-د.ميرال.
ميرال:
-نعم .
باسل:
-آسف لأني كنت حادًا في الحديث معكِ.
ميرال بلا مبالاة:
-لم أغضب، افعل ما يحلو لك.
باسل برقة:
-لن يحلو لي شيء لم توافقي عليه.

ميرال بخجل:
-صلِ استخارة يا باسل، وافعل ما ترتاح إليه.
باسل بمكر:
- ماذا قلتِ للتو؟!
ميرال:
-صلِ استخارة.
باسل:
- ما بعدها.
ميرال:
-يا باسل.
باسل ضاحكًا :
-اسمي جميل سهل بلا ألقاب، ليلة سعيدة رولا.
شردت للحظات تفكر، باسل يعتذر للمرة الثانية، يبدو لطيفًا هادئًا كعصفور جميل..أي منهم باسل الحقيقي، العصبي حاد الأسلوب أم الهادئ الرقيق؟؟ ولكن شرودها لم يدم والفضل للعزيزة لورين التي ظهر اسمها على شاشة الهاتف معلنًا عن اتصالها.
ميرال:
-مرحبًا لورين كيفك؟

لورين:
-الحمد لله يا غالية،لماذا تأخرتِ؟سأرسل لك قائمة بالأشياء التي سنتحتاجها من المتجر.
ميرال:
- مهلًا، حبيبتي، أي قائمة تلك؟!
لورين:
-أنسيتي رولا أني مصابة بالأنفلونزا وأحتاج للتغذية الجيدة.
ميرال:
-أرسلي يا روح قلبي قائمة المشتريات وأمري لله.
لورين:
-تسلمي يا أجمل رولا في الدنيا.
بعد قرابة الساعة في المتجر لإحضار الطلبات تمكنت أخيرًا من إحضار كل القائمة وما إن وصلت البيت حتى وجدت المسكينة لورين تغط في نوم عميق، توجهت إلى المطبخ وبدأت بإعداد الطعام حتى استيقظت لورين وأخذت تقص عليها أحداث يومها الطويل
لورين ضاحكة:

-باسل يحبك، لا تفرطي في هذا الحب يومًا.
ميرال:
-الحب مسؤولية.
لورين:
-تحمل المسؤولية يثبت صدق الحب.
جلست ميرال بإرهاق تتأمل يومها
الطويل..العمل..المرضى..باسل المتقلب
الأحوال..حديثها مع لورين ، حتى غلبها النوم.

وافق باسل على تأجيل عقد القران خاصة مع
انشغاله هو وميرال بالدراسة و ورش العمل
والمؤتمرات ووجدها فرصة للتقرب من ميرال
اكثرومساندتها وطمأنتها ، خاصة بعد سفر شريف
إلى كندا لاستكمال دراسته هناك.
واليوم بعد حضورها أحد المؤتمرات العلمية في
مدينة ليفربول، كان يشعر بالقلق عليها، خاصة أنه
كان يبدو عليها الإرهاق والإجهاد بعد المناوبات
الطويلة في الأيام السابقة، فقرر مهاتفتها للاطمئنان
عليها.

باسل:

-ميرال، كيف حالك؟

ميرال:

-الحمد لله.

باسل:

-هل قارب المؤتمر على الانتهاء من مناقشاته؟

ميرال:

-الآن وقت الاستراحة وتستأنف المناقشات بعد حوالي ساعة ونصف.

باسل:

-ما رأيك أن آتي لأوصلك للبيت؟

ميرال:

-شكرًا لك باسل، معي سيارتي.

باسل متسائلًا :

-المسافة بين ليفربول ولندن حوالى 4 ساعات بالسيارة في هذا الجو البارد، هل تقوين على القيادة؟! يبدو صوتك مجهدًا.

ميرال:

-هل أنت قريب من ليفربول؟

باسل:
-في زيارة لصديق لي بمانشيستر، حوالي ساعة بالقطار وأصل إليكِ في ليفربول.
ميرال:
-لا داعِ لتعبك، باسل.
باسل:
-وهل وجود المرء بصحبة من يحب يعد تعبًا؟
صمتت ميرال ولم تجبه
-ميرال، هل تسمعيني؟
-نعم ، الجلسة على وشك البداية.
-حينما أصل إلى فندق المؤتمر سأتصل بكِ .
-حسنًا، تصحبك السلامة.
وبعد قرابة الساعة وصل باسل إلى الفندق المقام به المؤتمر، دخل في هدوء وأخذ يبحث بعينيه عن ميرال بين الحاضرين حتى وجدها تجلس وتنصت للمحاضر بانتباه وتركيز مثير للإعجاب، كان مستمتعًا بالنظر إليها، جميلة هي حتى في عملها،دومًا يسأل نفسه ما الذي جذبه إليها؟ ولكنها دومًا صامتة..كلما حاول أن يعبر عن حبه لها،

لا يجد منها تجاوب..ربما لم تبادله الحب بكلماتها، ولكن عيناها التي تهرب دومًا من لقاء عينيه تخبره أنها تحبه حتى لو لم تنطقها أو تصرح بها.

ميرال:
-يبدو أنك هنا منذ فترة.
باسل:
-ليس وقتًا طويلًا،المهم أنك بخير وامضيتي وقتًا نافعًا .
ميرال:
-الحمد لله، كان مؤتمر ممتع، لم أشعر بطول الوقت برغم أني أمضيت اليوم بأكمله هنا.
باسل بحركة استعراضية بيده:
-أتسمح لي الاميرة بتوصيل سموها إلى لندن.
ميرال ضاحكة:
-رحلة تستمر لقرابة الأربع ساعات، من حسن حظ الأميرة أنها وجدت من يوصلها في طريقها الطويل.
اقترب باسل منها ونظر في عينيها وهمس قائلًا :
-وهناك من يسعد بقربها في طريقها الطويل.

ابتسمت ميرال في خجل وقالت:

-سنتأخر.

و خرجا إلى موقف السيارات، ولكن كان هناك عطل بسيارة ميرال واضطروا للانتظار في الجو البارد حتى تمكن باسل من إصلاح السيارة وبدأ المحرك يعمل من جديد.

بعد قرابة الساعة من السير في الجو البارد بالسيارة. بدأت ميرال تشعر بجفاف في حلقها وبدأ التنفس يضيق وأخذت تسعل بشدة

باسل:

-ميرال، ماذا بكِ؟

-أشعر بالاختناق، وازدادت شدة السعال حتى بدت شفتاها تميل للون الأزرق،وفقدت الوعي.

الفصل السادس
نسمات من الجنوب

إن أسمى أنواع الجمال ليس ذلك الذي يفتِنُنا على الفور، بل الذي يتسلّل إلينا ببطء نحملهُ معنا ونحن لا نكاد نشعر به

(فريدريش نيتشه)

ما إن فقدت ميرال وعيها حتى أوقف باسل السيارة وأسرع إلى دواء الاستنشاق الموسع للشعب الهوائية-الذى يصحبه دومًا بجيب سترته حال إصابته بأزمة تنفسية خاصة في الجو البارد لأنه مريض بحساسية الصدر- ولكنه وجد آخر قرص في علبة الدواء ولكن لا فرصة لديه للتفكير، ميرال بحاجة لاستنشاق القرص فورًا حتى ينقلها لأقرب مشفى والذي يبعد على الأقل حوالي نصف الساعة، ماذا لو أصيب هو الآخر بأزمة مماثلة خاصة بعد وقوفه لفترة في البرد حتى يتمكن من إصلاح السيارة، ولكن يجب أن ينقذ حياة ميرال أولًا والله يتولى الأمر بعد ذلك، أخرج القرص ووضعه في جهاز الاستنشاق ودفع به في فم ميرال وبدأ الدواء يسري داخل مجرى التنفس حتى بدأ لون شفتيها في التحسن قليلًا،إلى أن وصل أقرب مشفى في طريقه وبدأت ميرال في تلقى العلاج اللازم حتى استعادت وعيها.

باسل:
-حمدًا لله على سلامتكِ.
-سلمك الله، باسل.
-لم تخبريني بأنكِ مصابة بحساسية الصدر.
-لا أصاب بالأزمات التنفسية إلا في الجو البارد أو عند الانفعالات الشديدة، ولكن لم أصحب معي اليوم علبة الدواء، كيف حصلت عليه ؟
-أنا مريض مثلكِ وكانت معي علبة الدواء.
-وهل بقى دواء لك إن احتجت ؟
- كان آخر قرص .
-ماذا لو أصابتك أزمة قبل أن نصل إلى المشفى؟
-حياتكِ هي حياتي .
-شكرًا لك ،لا أدري ماذا كان سيحدث لي ولم تكن بجواري.
-الشكر لله، هو من سبب الأسباب وقدر الأقدار.

ربما آثرني على نفسه لأنه يحبني..وربما بدافع الإنسانية والرحمة وليس الحب.

أيهما أولى أن تبحث عنه في حياتك،الحب أم الرحمة؟
هكذا حدثت ميرال نفسها بعد وصولها إلى لندن وتحسن صحتها، ربما ما فعله باسل خلال رحلتهما من ليفربول إلى لندن بعث رسالة اطمئنان إلى قلبها أنه سيكون لها السند والرفيق في رحلة الحياة ولكن هل تكفي هذه الرسالة؟
هل يمكن أن تأتمن إنسان على قلبك وروحك بمجرد أن أنقذ حياتك مرة أم تحتاج إلى ضمانات أكثر؟
أكثر ما يطمئنها هو حسن ظنها بالله وثقتها به أنه لن يعرضها لسوء بوجود باسل في حياتها ،هي تعلم أن قلبها الذي حفظته سنين طويلة لن يهون على خالقه أن يدع باسل يجرحه أو يؤذيه، لذلك تحسن الظن بباسل وتثق فيه وتصدقه.
بعد يومين لم تره خلالهما ولم يهاتفها، قررت ميرال الذهاب إلى قسم جراحة القلب والصدر للاطمئنان عليه، بعد أن أنهت عملها مع حلول الظلام، أخذت تقترب بهدوء من المكتب -حيث يجلس مع زملائه

في أوقات الراحة- حتى وصلها صوت عمار وهويقول:
-كانا يومين من العمل الشاق ،لم نستطع حتى تناول القهوة سويًا.
باسل:
-ولم أرَ ميرال أو أهاتفها، ربما هي الأخرى مشغولة بأعمالها.
عمار:
-يمكنك الاطمئنان عليها الليلة فإنها راحتك.
باسل:
-حسنًا سأتصل بها الآن.
-لست في حاجة للاتصال، أنا هنا.
قالتها ميرال بابتسامة وهي تدخل إلى المكتب حيث يجلس باسل وعمار.
عمار:
-لقد جئت في وقت ممتاز، باسل راحة الليلة لا مناوبات ولكنه مجهد ويحتاج إلى من يوصله للبيت وخاصة أني مناوب الليلة.
ميرال:

-حسنًا ،يقبل دعوتي على العشاء وأوصله للبيت.
باسل ضاحكًا :
-هل يرفض عاقل دعوة كهذه؟!
عمار غامزًا:
-زادك الله عقلًا، صديقي.
ولكن رنين هاتف عمار قطع حديثهم،رد عمار على الهاتف وبدا على وجهه إمارات القلق والتوتر
عمار وهو يغادر المكتب:
-سأتوجه إلى الطوارئ الآن هناك حالة إصابة بطلق ناري.
باسل:
-سآتي معك.
عمار:
-أنت في راحة الليلة،سأتولى الأمر.
باسل:
-لن أتركك.
توجها مسرعين إلى الطوارئ ورافقتهما ميرال وهي تراقب الأوضاع وعندما وصلوا إلى الطوارئ، بدأ

عمار بفحص الحالة ولكنه توقف فجأة حينما رأى وجهها.
باسل:
-الحالة تحتاج إلى جراحة عاجلة لاستخراج الرصاصة ، لماذا توقفت عن الفحص؟!
عمار بارتباك:
-باسل،أنا....
تقدم باسل نحو الحالة وفحصها واتصل بالاستشارى المسؤول عن مناوبة الليلة وأبلغه بتفاصيل الحالة ثم توجه مسرعًا إلى العمليات بعد تبليغ التخدير وتمريض العمليات.
كانت ميرال تراقب الموقف في تعجب، ماذا أصاب عمار عندما رأى وجه الحالة؟!
المريض رجل عربي قارب الستين من عمره وهناك من أطلق عليه الرصاص وهو بداخل سيارته، هل عمار يعرف الحالة؟هل هو صديق أو قريب؟لماذا لم يمارس عمله وتركه لباسل؟!
بدل باسل ملابسه وبدأ التعقيم وهو يفكرلماذا تصرف عمار هكذا؟!

ولكن لا وقت للمناقشة أو التعرف على الأسباب،
توجه إلى غرفة العمليات ولكنه تعجب حينما رأى
مساعده في العملية د.ويلسون، على أي حال يجب
إنقاذ المريض أولًا وبعدها يعرف الأسباب.
مر قرابة الساعة، قام عمار خلالها بالمرور على
المرضى في القسم، بينما جلست ميرال في استراحة
العمليات تنتظر باسل حتى ينهي العملية.
أنهى باسل الجراحة بنجاح وشكر الفريق المساعد له
وخرج يبحث عن عمار ولكنه وجد ميرال في
انتظاره.
باسل:
-أعتذر لكِ عن التأخير، تعلمين ظروف الطوارئ.
ميرال بتفهم:
-المهم أن المريض بخير.
باسل:
-نعم، بخير والحمد لله ،تعالي نبحث عن عمار
لأعرف ماذا أصابه؟
ميرال:
صحيح، موقفه غريب!

وصلا إلى المكتب ووجدا عمار يراجع السجلات الطبية للمرضى.

باسل:

-كيف حالك الآن؟

عمار:

-الحمد لله.

باسل:

-عمار،أنت رفيقي في لندن لقرابة العامين،لم أعرف عنك إلا خيرًا، طبيبًا ماهرًا لا يتأخر عن إنقاذ مريض ،ماذا أصابك عندما رأيت وجه المريض؟

عمار:

-الحمد لله أنك أنقذته باسل، لم أستطع أن أتعامل معه بعد أن عرفته،صراع داخلي بين جرح قديم ونفس تطلب مني إنقاذها.

ميرال بتساؤل:

-جرح قديم؟!

عمار بحزن:

-جرح بقلب حبيبتي أجوان.

باسل بدهشة:

-ما دخل أجوان زوجتك بالأمر؟
عمار:
-أجوان زوجتي فلسطينية ولدت ونشأت في مدينة الخليل،وكان لها أخان شقيقان، أجَاد وأركان، وكان والدها تاجرًا للزيتون والتمور وكانت له تجارة مع رجل يدعى سليم الجابر ومرت الأيام وتوسعت تجارتهم، وكان أجَاد عضو في كتائب عزالدين القسام وكان مطاردًا من القوات الإسرائيلية وطلب من والده أن يوفر له مخبئًا آمنا فطلب من شريكه سليم الاختباء عنده في مخزن قديم في ضاحية مهجورة ووافق سليم على مساعدة أجَاد، وبعد أسبوع من اختباء أجَاد عرضت القوات الإسرائيلية مكافأة مالية لمن يرشد عن مكانه أو يسلمه لهم ، بعد أسبوع هرب سليم بعد أن استولى على رأس مال الشركة وجزء من الأرباح مستغلًا غياب والدها في بيروت لإنهاء صفقات تجارية،في الوقت نفسه وصل الإسرائيليون إلى مكان أجَاد وتمت تصفيته، كانت صدمة أجوان وأهلها قوية ومؤلمة، كان عمر أجوان وقتها أحد عشر عامًا وكان تعلقها شديدًا

بأجَاد ذي العشرين عامًا ًسافرت الأسرة بعدها إلى الأردن عند أخوال أجوان ولكن أركان ذي الخمس وعشرين عامًا قرر الهجرة لاستراليا بحثًا عن حياة جديدة.

ميرال بدموع:

-ذكريات مريرة،كان الله في عونها.

عمار بحزن:

-عندما رأت أجوان سليم الجابر مرة في الأردن كادت أن تقتله لولا أنى أوقفتها، كيف لى أن أنقذ حياة من دمر حياة أسرة وخان الأمانة.

باسل:

-سيدنا رسول الله-صلى الله عليه وسلم- عفا عن أهل مكة حين فتحها وقال(اذهبوا فأنتم الطلقاء) وعفا أيضًا عن هند بنت عتبة بعدما حرضت على قتل عمه حمزة أسد الله.

عمار بحزن:

-ليت القلب ينسى أوجاعه يومًا، ذاكرة القلب أعمق من العقل أحيانًا.

ميرال بأسى:

-لا بل كثيرًا.
باسل بإجهاد:
-سنكمل حديثنا في وقت آخر، أتمنى لك مناوبة هادئة.
ودع باسل وميرال عمار وتوجها إلى السيارة
ميرال:
يبدو عليك الإرهاق الشديد، سأتولى القيادة بدلًا منك.
باسل باستسلام:
-حسنًا.
الطريق من المشفى إلى منزل باسل حوالي نصف الساعة بالسيارة، كانت ميرال تقود في صمت وباسل إلى جوارها وبعد دقائق غلبه النوم حتى وصلا إلى منزله، أوقفت ميرال السيارة ورفعت صوتها:
باسل..باسل..استيقظ لقد وصلنا.
باسل بتثاؤب:
-وصلنا إلى اين؟
ميرال:
-منزلك، باسل.

اعتدل باسل في جلسته واقترب من ميرال واحتضن كفها بين يديه وهمس قائلًا:
-متى يكون منزلنا ؟
سحبت ميرال كفها بحرج قائلة:
-باسل، أنت مجهد وتحتاج للراحة.
أمسك باسل كفها مرة أخرى وطبع عليها قبلة رقيقة وهمس قائلًا:
-اشتقت إليكِ كثيرًا.
سحبت ميرال يدها بشدة ونزلت لتفتح باب السيارة لباسل قائلة:
-لديك عمل في الصباح الباكر،تصبح على خير.
باسل بضيق:
-وأنتِ من أهله.
ربما شعرت بالرهبة من فعلتك، تسرعت باسل..هكذا حدثته نفسه حديثًا منعه من النوم ولكنه قرر مهاتفة ميرال
-مساء الخير، أأيقظتكِ من النوم؟
-مساء النور،لم أنم حتى الآن.
-أعتذر إليكِ رولا عما بدر منى الليلة.

صمتت ولم تجبه.
-ميرال.. ميرال هل تسمعينى؟
-نعم،لا تكررها.
-حسنًا لدي اقتراح.
-ماذا؟
-ما رأيك في عقد القران الأسبوع القادم؟
-لماذا؟
-حتى أكرر ما فعلته الليلة واكثر.
-باسل، سأغلق الهاتف.
-ميرال، سأكلم عمي عاصم وشريف غدًا إن شاء الله.
-تصبح على خير.
-تصبحين على سعادة .
وافق عاصم على إتمام الزفاف في خلال شهر وبدأ العروسان الإعداد للزفاف واستمرت ميرال تعامل باسل بجفاء طوال هذا الشهر ولكن باسل تقبل جفاءها بهدوء
باسل:
- هل أنتِ غاضبة مني؟

-لست غاضبة.
-لماذا تعاملينني هكذا رولا؟
- لم أقصد أن أضايقك.
-رولا، أنا.....
-لا تقل ما لا تستطع الوفاء به.
-ماذا تقصدين؟
-الحب عهد يقطعه المرء على نفسه، عهد بالدعم..بالمساندة..بالاحتواء.. بالمشاركة في الأحزان والأفراح..بالتضحية..بالوفاء للجميل... لا تقلها يا باسل دعني أراها في أفعالك..أشعر بها في سلوكك..لا أريدك أن تخلفني العهد يومًا.
صمت باسل وقد لامست كلماتها الصادقة قلبه، صمت وزاد شعوره بالمسؤولية تجاه ميرال.
لا تنطق ما لا تتأكد من قدرتك على تنفيذه..هكذا هو الحب في نظرك ،رولا.

تأمل باسل وجهه في المرآة، وتكاد تكون المرة الأولى التي ينظر فيها إلى وجهه بعمق، عريس في ليلة زفافه، كيف مرت عليه الأيام والليالي بحلوها

ومرها وها هو الآن لم تحطمه العواصف بل أكسبته قوة وصلابة.
عمار:
-مبارك عليك باسل
باسل:
-بارك الله فيك أخي عمار ، يعلم الله أنك في قلبى بمكانة خالد.
عمار:
-أوصيك وصية رسول الله(رفقًا بالقوارير)، قلوب النساء رقيقة،، أعظم ما يأتمنك عليه إنسان هو قلبه ، إياك أن تؤذي قلبًا أحبك يومًا.
باسل:
-ادعو الله لي .
عمار:
-أسعد الله قلبك.
توجهوا إلى منزل العروس ميرال التي بدت كأميرة خرجت من كتب الأساطير، زفاف هادئ في حديقة أحد الفنادق على أنغام الكمان في وجود الأهل

والأصدقاء، أجواء جميلة بسيطة أضفت سعادة وبهجة على الجميع.
وصلا إلى بيتهما وطلب من ميرال أن يصلي بها ركعتين وبعد الصلاة وضع يده على جبهتها ودعا الله:
(اللهم إني اسألك من خيرها وخير ما جبلت عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه)
باسل:
-ميرال ، تصرفي بأريحية.
ميرال بخجل:
-شكرًا لك.
باسل:
-سأبيت بغرفة الأطفال حتى تكوني على راحتك.
قضى ليلته بغرفة الأطفال وهو لا يدري لماذا فعل هذا؟ كيف تركها وحيدة في هذه الليلة؟!
هل أبى قلبه أن يقربها ولم تفارقه مخاوفه وهواجسه؟
هل ظلمتها ؟أم ظلمت نفسك معها؟

في الصباح بدت كفراشة رقيقة تعد طعام الفطور في المطبخ، لا يبدو عليها الضيق.

باسل:

-صباح الخير رولا.

ميرال:

-أسعد الله صباحك.

تناولا معًا الفطور في صمت ولكنه كان يتأملها بين اللحظة والأخرى.

باسل:

-سلمت يداكِ ،فطور لذيذ.

ميرال:

-سأعد لك الشاي.

باسل:

-رولا، عمار أرسل إلى دعوتين لقضاء أسبوع إجازة في جنوب أسبانيا ،يمكن أن تعتبريه أسبوع عسل مثلًا ، ما رأيك؟

ميرال بابتسامة:

-هل ترغب بالسفر؟

باسل بشغف:

-أتمنى ألا ترفضي الفكرة.
ميرال بسعادة:
-موافقة.
غفت ميرال للحظات في الطائرة وسقطت رأسها على كتفه، ود لو بقيت دومًا إلى جواره ، عطرها الآسر يجتاح حواسه ، يلهب قلبه الذي يخشى أن يهيم بحبها، أن يقع أسيرًا لعشقها.
اقتربت الطائرة من الهبوط بمطار مدريد، أيقظ ميرال بلطف وحينها رأى بعينيها الناعستين براءة طفلة مشاكسة لطالما أثارت جنونه بعنادها.
ميرال بتثاؤب:
-كم بقى لنا على الوصول؟
باسل :
-حوالي ربع ساعة...هل أنتِ بخير؟
ميرال بألم:
-أشعر بدوار بسيط، لا تقلق علي.
هبطت الطائرة بسلام واستقلا سيارة أجرة من المطار إلى فندق إقامتهم بمدينة إشبيلية(سيفيل) عاصمة الأندلس رابع أكبر مدينة أسبانية، تلك

المدينة ذات الحركة الدائمة، هنا معارض ومقاهي وهناك نوادي واحتفالات، دراجات هوائية منتشرة ويمكن تغطية كل مشاهد المدينة بالدراجة! الحافلات السياحية تجوب المدينة والقوارب على نهر غواد الكويفير، جعلتها واحدة من أهم المدن السياحية بأسبانيا.

شعر باسل بإجهاد شديد وغاب في نوم عميق، وعندما استيقظ وجدها كالملاك لا تزال نائمة إلى جواره، أحقًا تلك القوية العنيدة المثابرة مجهدة بهذه الدرجة.

وعندما استيقظت أخبرها أنه سينتظرها في مطعم الفندق لتناول العشاء، وبعد حوالي نصف ساعة ظهرت كالأميرات بفستانها الفيروزي المميز وحجابها الأبيض ، وتناولا الطعام في صمت.

الكلمات رسل القلوب ، قلبه النابض بحبها لا يريد رسلًا تزيده عذابًا فوق عذابه، قلبه الذي كلما اقترب كلما فر هاربًا من ذاك الحب الذي لا تؤمن عواقبه.

ولكن إلى متى الفرار من الحب؟؟؟

أعاده صوتها إلى الحياة من جديد قائلة بابتسامة:

-الجو جميل ما رأيك أن نتجول قليلًا خارج الفندق؟
باسل بهدوء:
-موافق، الجو جميل والهواء منعش.
ظل كلاهما على صمته طوال جولتهما القصيرة وحينما عادوا إلى الفندق هم باسل بالنوم ولكن ميرال نظرت إليه بحرج واصطحبت اغطيتها ودثرت نفسها ونامت على الكنبة المقابلة للسرير، شعر بالذنب تجاهها وكاد يوقظها ولكنه تراجع ونام على السرير.

حماس ونشاط يملئ قلبها في هذا الصباح ،متلهفة للاستمتاع بكل لحظة خلال وجودهما بإسبانيا ، باسل لا يزال نائمًا، ميرال تراه غريب الأطوار ، تارة يقترب وتارة يبتعد ولا تعلم سببًا ولا تجد مبرر، أحيانًا ترى الحب بعينيه وأحيانًا ترى بعينيه غموضًا لا تفهمه ، حينما التقاه شريف أخبرها أنه يحبها وسألها هل تحبه؟ وحينها عجزت عن الجواب، أي حب قصده شريف؟
باسل بتثاؤب:

-ميرال ، كم الساعة الآن؟
ميرال باسمة :
-التاسعة صباحًا.
باسل وهو ينهض من فراشه:
-استعدي ليوم سياحي حافل
ارتدى ملابسه وبحث عن ميرال في الغرفة فلم يجدها، نزل إلى المطعم ليجدها تنتظره، أنهيا الفطور وتوجها إلى الحافلة.
سألته ميرال بشغف :
-من أين نبدأ ؟
أجابها :
-مفاجأة.
ابتسمت بسعادة وقالت:
-لننتظر .
حتى وصلا إلى قصر الحمراء، غرناطة الجمال، الفن والإبداع .
-اسمحي لي سيدتي الجميلة أن أكون مرشدكِ في غرناطة الساحرة.
ضحكت ميرال بشدة وقالت:

-تفضل.
من اجمل مايميز هذا القصر التاريخى العريق ،فناء الريحان الكبير، ببركة الماء الذي تتوسطه وتظللها أشجار الريحان الجميلة بالاضافة إلى بهو الأسود، بهو مستطيل الشكل ،في وسطه نافورة الأسود ، وعلى حوضها المرمري المستدير اثنا عشر أسدًا من الرخام الجميل، تخرج المياه من أفواهها بحسب ساعات النهار والليل، قاطعته ميرال بمرح:
-يبدو أنك محب للتاريخ.
نظر في عينيها وود لو قال لها :
-لأجلك أنتِ قرأت التاريخ والجغرافيا ولكن غلبه الصمت، فبقى يتأمل عينيها.
-باسل هل سنبقى هكذا طول اليوم اشعر بالجوع .
قاطعته ميرال بمرح
باسل:
-نتناول الطعام ونكمل رحلتنا.
اصطحبها باسل إلى اقرب مطعم والتقط قائمة المأكولات ليختار منها.
باسل بحماس:

-طعم المأكولات البحرية مع الفلفل الحار منعش ما رأيك ان نطلب بيلا دومارسيكو؟
-هل جربته؟
باسل:
-بيلا دو مارسيكو،شرائح السمك و الجمبرى المقشر و المحار و الكالاماري مع زيت الزيتون ثم يضاف إليه البصل و الثوم و الفلفل الأخضر الحار والأرز والزعفران بلونه المميز.
ميرال ضاحكة:
-الطبق بمكوناته،..يبدو أنك تحب الطهي.
باسل بابتسامة:
-تناولته من قبل مع أحد أصدقائى في مطعم أسباني.
-لا تفوتك التفاصيل.
-هناك تفاصيل تلفت انتباهي.
-لنجرب.
باسل بابتسامة:
-لن تندمي.
وبعد أن تناولا الطعام، اصطحبها باسل إلى وجهة لا تعلمها.

-إلى أين ؟
-إلى جنة العريف الآن.
ميرال بدهشة:
-جنة العريف، حدثني عنها.
-متعي ناظريك بالجمال أولًا ثم أحدثك عنها.
انطلقا للتجول بقصر جنة العريف، بالقرب من قصر الحمراء، وقد صمَّم المسلمون جنة العريف على هيئة مدرَّجات لا يتعدَّى عرضُ أوسعها ثلاثة عشر مترًا، ولا يزيد عددها على ستَّة مستويات، ويلعب الماء دورًا أساسيًّا فيها؛ إذ ينهمر من أعلى الحديقة من عيون تصبُ في قنوات تمر عَبْرَ الأشجار.
ميرال بسعادة:
- يا الله على روعة الأزهار وجمالها والرياحين وسحرها.
-النزهة معك ممتعة كأني في بانوراما شيقة.
-سمو الأميرة تتمنى وباسل ينفذ.
-سمو الأمير، وجهتنا التالية إلى أين؟
- متحف العلوم.

بعد دقائق سيراً على الأقدام من وسط مدينة غرناطة ،وصلا إلى منتزه العلوم وهومتحف علمي ثقافي ويضم المتحف أجنحة دائمة وأخرى مؤقتة، ليتيح لزائريه رؤية شيء جديد عند كل زيارة، أحد أجنحته الدائمة يسمى "الأندلس والعلم"، وتقدم مقتنياته رؤية للتراث العلمي العربي الإسلامي ومساهماته المختلفة في مجالات العلوم بين القرنين الثامن والخامس عشر، كما يحتوي على مرصد فلكي، وجناح مخصص للفيزياء والميكانيكا، وقسم خاص لتجارب مناسبة للأطفال.

ميرال:

-لو بقيت طيلة اليوم هنا لن أمل،الأندلس تاريخ ثري.

باسل:

-ألا تتوقين لمغامرة؟

-ماذا تقصد بمغامرة؟!

-سترين بعد قليل.

مر الوقت طويلًا عليها ويعلم أن شغف المغامرة بدأ يداعب عقلها، ولكن صبرًا أيتها الأميرة.

وصلا إلى مكان به الكثير من الأنهار ، الكثير من البحيرات، الكثير من الزراعات كالتفاح والخوخ والزيتون واللوز وغيرها من الأراضي الخصبة

ميرال بتعجب:

- الجبال تغطيها الثلوج، ما اسم هذا المكان؟

- منتزه سييرا نيفادا.

ميرال:

-المكان جذاب ولكن أين المغامرة؟!

أحضر بزات تزحلق، زلاجات، زوج من القضبان التي يمسك المتزحلق بهما لتحسين توازنه وتسارعه في أثناء التزحلق، أحذية خاصة - تلبس قبل وضعها داخل الزلاجات، نظارات شمسية.

ميرال متسائلة:

-باسل، هذه أدوات تزلج على الجليد!!

باسل بحماس:

-سيكون التزلج على الجليد مغامرة مثيرة.

ميرال بضيق:

-لم أمارسها من قبل.

باسل مطمئنًا إياها :

سأكون معكِ خطوة بخطوة لا تخافي، استمتعي فقط.
شعرت برهبة حقيقية ولكنها تشتاق إلى المغامرة، تشتاق التجربة وباسل بجانبها
هل حقًا تثق بباسل وتشعر معه بالأمان؟!
باسل:
-اسمحي لروحك بالحرية بالانطلاق.
اومأت بابتسامة وبدأ تزلج الجليد وهي متشبثة بيد باسل وصوته المطمئن يشجعها يحطم مخاوفها يشعرها بالأمان في يوم جميل ممتع، يوم من أحلى أيام العمر.

ضحكتها.. ابتسامتها.. بريق عينيها،،معها يكون خارج حدود الزمان والمكان.. لا تعب لا ألم.. كل ضحكة وفرحة تمنحه روح فوق روحه ورغبة حقيقية في إسعادها.
بعد أن وصلا إلى فندق اقامتهم تناولا العشاء في هدوء وصعدا للراحة في غرفتهما
-رولا استريحي في السرير وأنا سأنام على الأريكة.

-شكرًا لك ولكن يمكنني النوم على الأريكة وتنام أنت على السرير.
-ميرال، هل يمكن ألا تعارضيني؟
-حاضر.
استسلما لنوم عميق بعد يوم، كل منهما يتمنى ألا تغيب عن قلبه ذكراه.
صباح جديد في الجنوب الأسباني الساحر،برنامج اليوم حافل ينقصه فقط أن تستقيظ الأميرة.
-رولا استيقظي ينتظرنا يوم ممتع.
ميرال بتكاسل:
-كم الساعة الآن ؟
باسل:
-التاسعة صباحًا يا كسولة، سأسبقك للإفطار.
دقائق معدودة وكانت تتناول إفطارها معه وهي تفكر في جولة اليوم.
-صباح جميل رولا.
-صباحك أجمل ،من أين نبدأ جولتنا اليوم؟
-سأصحبك إلى قرطبة.
ميرال بحماس:

-تفضل مرشدى العزيز،كلى اذان صاغية.

وصلا جامع قرطبة، هذا المسجد يتميز بأن السقف على هيئة أقواس و هذا ما يعطيه مظهرًا رائعًا جذابًا كما يشتهر بوجود الأعمدة والأقواس داخل القاعة الرئيسية، كما توجد واحدة من المناطق الأكثر إثارة للاهتمام في جامع قرطبة هو المحراب، هذا المحراب يتجه اتجاه مكة المكرمة للمسلمين.
ثم توجها إلى أحد المطاعم لتناول الغداء،طلب البايلا "بايِيَا"وهي من أشهر الأطباق الأندلسية التي تطهى حتى هذا اليوم في أسبانيا والبرتغال وخاصة في إقليم الأندلس، جاءت من الكلمة العربية بقايا وفكرته قائمة على جمع بقايا الطعام.
ميرال:
-مما تكون البايلا ؟
-طبق من الخضار والبحريات كما يمكن عملها بالدجاج أو لحم الأرانب ولكني افضل الأسماك والبحريات بإسبانيا.
-أنا أيضا احب الأسماك والبحريات.

في طريقك للخروج من قرطبة ستصادفك أطلال مدينة الزهراء،الكثير من الجدرايات باللغة العربية والتي يحوي بعضها حكم، او آيات قرآنية أو حروف عربية بخطوط منوعة.

ميرال بحزن:

-تلك المدينة التي عاشت ملكية وربما كانت الأعظم في التاريخ انتهى بها الحال كأطلال.

-التاريخ ملئ بالدروس والعبر، الأيام دول.

-فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى.

-نعم،ثم ارتقى.

بين أروقة القصور والمساجد والمتاحف قضيت أجمل لحظات حياتها بصحبة باسل الرائع لم تكن تتخيله هكذا، إنه يبدو كمرشد سياحي حقيقي بأسلوبه الراقى الممتع بكل الحنان والاحترام الذي تعامل به معًا، غادرا قرطبة في طريقهما إلى إشبيلية، وبالقرب من مقر إقامتهما توجد واحدة من أجمل الحدائق باسبانيا..

حديقة ماريا لويزا .

هذه الحديقة ذات المساحات الخضراء الشاسعة و الأزهار العطرة مع جسور لعبور المُشاة بالإضافة إلى عدد من نوافير المياه العذبة.

-باسل ما رأيك في ركوب عربة الخيول؟

باسل بحماس:

-أعتقده شيء لطيف.

استقلا عربة الخيل وبدأت جولة جميلة بجانب النهر على طول الحديقة، جولة استمرت قرابة الساعة.

ميرال:

- أشعر بالصداع والدوار.

احتضن كفيها بيديه و أسند رأسها على صدره ولأول مرة بعد أسبوع من زواجهما يكونا بهذا القرب، أنفاسها المضطربة ودقات قلبها المتسارعة أثارت قلقه.

باسل بحنان:

-رولا هل أنتِ بخير؟

ميرال ورأسها على صدره وكأن همساتها الرقيقة تخترق قلبه:

-الحمد لله بخير، شكرًا لك على كل ما فعلت لأجلي.

ود لو يخبئها بقلبه ،قلبه الذي يحبها ويخشى الاعتراف.
أنهيا جولتهما وتوجها إلى الفندق ،أوصلها باسل إلى غرفتهما وتركها تنام بهدوء بعد ان اطمئن على حالتها وذهب إلى حديقة الفندق يجلس وحده ،يتأمل حياته. أيامه في القاهرة..عمله في لندن..رحلة كينيا..ميرال ..وكأن القدر جعلها في طريقه لتؤنس وحدته ولكن هل تتمكن إذابة جليد قلبه؟
لتتسائل نفسه :
-ولماذا أحطت قلبك بالجليد؟
ويرد عليها:
-لأحفظ قلبي من نيران الحب.
وتعاود نفسه السؤال:
-وهل للحب نيران؟
ويجيبها:
-كما أصابت خالد الذي استسلم لها بملئ إرادته ولم يحاول أن يتقيها يومًا، الحب الذي عزل خالد عن أسرته..الحب الذي جعل زوجته تتحكم فيه وفقا

لهواها وتنازل هو ليرضيها ويرضي قلبه العاشق لها،وبئس العشق الذي يقود الرجال.

استيقظت صباحًا وحاولت النهوض من فراشها ولكنها لا زالت تشعر بالدوار، كما أن حرارتها مرتفعة قليلًا ،باسل غير موجود بالغرفة، ترى أين ذهب؟

وما هي إلا لحظات حتى فتح باسل الباب

-صباح الخير،رولا

-صباح النور،أين كنت؟

-أحضرت لكِ الدواء وطلبت لنا الإفطار في الغرفة.

-أنا بخير.

-تناولي إفطارك ودوائك واستريحي حتى نتمكن من إتمام جولتنا بالغد.

-شكرًا لك.

-هل رعايتي لزوجتي أمر يستحق الشكر؟

لم تجد ما تقوله، أطاعت كلامه بهدوء واستسلمت للنوم مجددًا.

في المساء تحسنت صحتها كثيرًا، بدلت ملابسها وهاتفت باسل الذي لم تره منذ تركها في الصباح.

- باسل، كيف حالك؟

باسل:

-الحمد لله .كيف حالك أنتِ؟

-بخير الحمد لله.

-أنتظرك في بهو الفندق و لدي مفاجأة.

ميرال بشغف:

-بالله عليك اخبرني.

-أمسية اخترتها لكِ وأتمنى أن تعجبك.

-حسنًا.

اصطحبها باسل إلى حفلة موسيقية لفرقة تعزف الموشحات الأندلسية.

ميرال:

-وماذا تعني الموشحات؟

باسل:

-الموشّح، قصيدة مؤلَّفة من ثلاثة مقاطع متساوية ومقطع مكرر ، وهي مُعدّة للغناء وهو نمط من الشعر نشأ في « الأندلس » وذاع فيها.

ميرال بإنصات:
-نعم، كلماته جميلة..استمع إليها

إن كان ذنبي أن حبك سيدي
فكل ليالي العاشقين ذنوب
أتوب إلى ربي وإني لمرة
يسامحني ربي إليك أتوب
بروحي تلك الأرض ما أطيب الربى
وما أحسن المصطاف والمتربع
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني
على كبدي من خشية أن تصدعا
وليست عشيات الحمى برواجعا
إليك ولكن خلي عينيك تدمعا
كأنا خلقنا للنوى وكأنما
حرام على الأيام أن نتجمع

-أعجبتك رولا؟
-كلماتها الصادقة تمس القلب.

عيناه تحملان كلامًا لم تره فيهما من قبل، ظلت تتأمل عينيه في صمت تتمنى لو بادرها باسل بالكلام..بالمشاعر..بالحب...
ولكن في دنيا المحبين الانتظار إثم.. والتسويف جريمة..أخبر حبيبك بما يسري بقلبك ولا تردد، الاعتراف سيغير لحظاتكم..سيضفي مذاقًا لا تحرم نفسك الاستمتاع به.
ليت قلبه كان شجاعًا وحمل لواء المبادرة..الحب للشجعان.
ولكن لما لاتبادرين،ميرال؟
في الحب لا يهم من بدأ..المهم العطاء لاستمرار الحب.

قرابة الساعتين وليلى بغرفتها يسمع زياد بكائها ود لو يطلب منها فرصة هادئة للحوار. ولكن صوت بكائها انقطع فجأة، ربما هدأت.. ربما نامت ولكنه كان قلقًا عليها.

طرق الباب مرات ومرات بلا جواب ، رفع صوته قائلًا:

-إن لم تفتحي الباب يا ليلى سأكسره.ولكنها لم تجب كسر الباب ليجدها ملقاة على أرضية الغرفة فاقدة للوعي.

زياد بفزع :

-ليلى.. ليلى أنا زياد أفيقي ،تحسس النبض وكان ضعيفًا وكذلك التنفس.

وجد زجاجة دواء مكسورة على الأرض ،إنه نوع من المهدئات ، ولكن الزجاجة فارغة صرخ بلوعة:

-ليلى...ليلى.

بعد نقلها للمشفى كانت عاصفة من القلق ..من الألم..من الحزن..تجتاح قلبه وعقله حتى أخبره الطبيب أن حالتها بدأت في الاستقرار ولكنها لم تسترد وعيها بعد ،بقى جانبها طوال الليل يدعو الله أن يعافيها ويردها إليه سالمة،ليلى هي حب حياته لا يمكن أن يتخيل حياته بدونها ،لأول مرة بعد عام من زواجهما يحاسب نفسه عما فعل بها، حسب أن زهرة حبه التي تنمو وتزدهر بقلبها ستغطي على تقصيره في حقها ولكنه أهمل زهرته حتى جفت وذبلت وكاد يفقدها، الحب في القلوب يرويه الاهتمام والمشاركة ولكنه أدرك متأخرًا ، متأخرًا للغاية.
امرأة مثل ليلى تأبى كرامتها أن تطلب منه الاهتمام ما لم يقدمه لها طواعية عن طيب خاطر،ليلى منحته الحب ..الحنان..الأمان ،ضحت بما تحب ليشعر بالاستقرار ولكنه لم يكن كريمًا معها اعتبر ما فعلت واجب عليها وحق له ولم يمنحها حتى كلمة شكر.
ليته واجه نفسه منذ زمن ..ليته ما ظلم ليلى..

صلى الفجر وقلبه لم يفتر عن الدعاء.. اللهم ردها إلى حياتي.. اللهم احفظها.. حتى غفا على الكرسي محتضنًا كفها بيديه.

استيقظ على صوت أنينها،بدت عيناها حزينة متألمة ، ملامحها مجهدة شاحبة، حتى نطقت باسمه

زياد...زياد

-ليلى حبيبتي،أنا هنا إلى جوارِكِ

ليلى بألم:

-اخرج لو سمحت

زياد بعدم استيعاب:

-نعم..اخرج..لماذا؟

كيف له أن يتركها وهي بهذا الضعف والانهيار ولكن زميله الطبيب نصحه بالخروج ومنحها فرصة للراحة والهدوء

عاد زياد إلى عمله لينسى ألمه وإحساسه بالضياع.. ليدفن نفسه وسط المرضى والعمليات ربما ينسى ولو لحظات أنه أضاع روح حياته بمنتهى الإهمال.

أنهى عمله الطويل وذهب إليها علها هدأت وتحسنت حالتها ليصلح ما أفسده بيده وما إن دخل عليها حتى وجدها تجلس في هدوء والممرضة تعطيها دوائها.

-كيف حالك الآن ؟

نظرت إليه بعينين دامعتين نظرة جرحت قلبه وكادت أن تقضي عليه حتى نطقت كلمتها التي قتلته:

-طلقني يا زياد..أطلق سراحي من حب لم أجني منه إلا الألم..دعنا ننفصل في هدوء، انفصالنا هو الدواء ومثلي لا تطلب الدواء إلا إذا كان جرحها عميقًا.

جف حلقه وشعر بألم في صدره وكأن أحدهم أصابه بوابل من الرصاص، لم يعد قادرًا على الوقوف، هوى على أقرب مقعد والتقط زجاجة المياه ليطفئ النار المشتعلة بداخله.

ثلاثة أيام قضتها ليلى بالمشفى بعد تلك الليلة القاسية التي طلبت فيها الطلاق ،كان يذهب إلى المشفى ليطمئن عليها دون الدخول لغرفتها كي يمنحها وقت لتفكر بعيدًا عنه، ولكنها طلبت منه عقب خروجها من المشفى المبيت في بيت أهلها.

زياد بيأس:
-والدك و والدتك في الإمارات أتريدين البقاء في البيت بمفردك؟!
ليلى بإصرار:
-أنا متعبة وأريد ان أسترح.
زياد باستسلام:
-سأحقق لكى ما طلبتِ.
نفذ لها ما أرادت ولم يقدر على الذهاب للبيت بمفرده فقرر الذهاب للمشفى ومساعدة زملائه في القسم.

رامز:
-أنت متعاون جدًا،تساعد زملائك حتى في يوم راحتك.
زياد بسخرية:
- ليتني أشعر بالراحة.
رامز بإشفاق:
-تبدو مريضًا للغاية، ما بك؟
زياد بألم:

- أحيانًا تعجز الحروف والكلمات عن وصف ما بداخلك.
رامز مربتًا على كتفه:
- تعال معي، لنتناول الطعام قبل أن تبدأ الاستدعاءات من الطوارئ
تناولا الطعام ونزلا إلى الطوارئ لمناظرة المصابين في حادث تصادم حافلتين وتم تجهيز العمليات لاستقبال الحالات ليبدأ عمل شاق استمر حتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالي، وما إن انتهت العمليات حتى توجه للعيادة لاستلام مهام اليوم الجديد،يوم كسابقه روتيني ممل لا جديد، واصل العمل كماكينة بلا عقل بلا قلب، المهم أن يتم إنجاز العمل وما إن أعلنت دقات الساعة العاشرة مساءً حتى خفق قلبه بشدة وخارت قواه لدرجة أنه استسلم للجلوس على الأرض في غرفة العمليات بعد إنهاء آخر عملية طوارئ في هذا اليوم.
أحد الممرضات:
- د.زياد هل أنت بخير؟

-الحمد لله ،سأسترح قليلًا و أتوجه للقسم ،اذهبي أنتِ لتعقيم الأدوات الجراحية لا تزال الليلة طويلة وربما نستقبل حالات أخرى.
الممرضة:
-هكذا دومًا ليالي مناوباتك طويلة ومتعبة.
زياد لنفسه ساخرًا:
-وحياتي كلها أيضًا.
رحل الجميع، الأخصائي الذي ساعده في إجراء العملية،والمريض بعد الإفاقة والممرضة والعامل وبقى زياد وحده،أسند ظهره إلى الحائط وبدأ عقله المجهد يسترجع ذكريات الأيام الجميلة، يوم خطبة ليلى..حفل زفافهما الرائع..ضحكتها الحلوة..صوتها الدافئ وهي تحكي له الحكايات كي ينام في هدوء وكأنه طفلها المدلل،لتقتحم لحظة طلب ليلى الطلاق ذكرياته الجميلة لتعيد إلى قلبه الآلام ولكنها في تلك المرة الآلام شديدة جدًا وبدأ يشعر بصعوبة في التنفس ،حاول النهوض فلم يستطع وبدأ يفقد السيطرة على أطرافه وغاب عن الوعي.

ليلى تنظر إليه وهي تبكي بشدة ثم تجري في طريق طويل وهو يحاول اللحاق بها ولكن الطريق يزداد انحدارًا وليلى تبتعد أكثر فأكثر حتى كاد يفقد أثرها وظل يصرخ باسمها ليلى ..ليلى

لكن فجأة شعر بيد قوية تهز كتفه منادية باسمه:

زياد..زياد

فتح عينيه ليجد نفسه يفيق من حلم بينما زملائه حوله وجسده موصول بأسلاك المحاليل وجهاز رسم القلب

رامز:

-حمدًا لله على سلامتك زياد.

-هل كانت حالتي خطيرة لهذه الدرجة؟

الأخصائي عماد:

-بعد حوالي ساعة من غيابك، أخذنا نبحث عنك في المشفى حتى وجدناك فاقدًا للوعى على أرضية غرفة العمليات، مستوى السكر في دمك كان منخفضًا جدًا ،ربما لو لم نعثر عليك في وقت قصير لفقدناك، انتبه لصحتك.

هادي زميله:

- من ليلى هذه التي كنت تصرخ باسمها ؟!
رامز:
-زياد في حاجة للراحة ،لنتركه ينام في هدوء.
وانصرفوا بعد محاولة رامز تدارك الموقف ،تمنى لو فارق الحياة كما فارقته ليلى..ولكنه استغفر الله العظيم.. ودعا الله أن يجمع شمل أسرته.
أربعة أيام مرت منذ وصلت ليلى بيت أهلها ولم يكلف زياد نفسه ليتصل بها أو يطمئن عليها وهو يعلم أنها وحيدة ومريضة وكأنه انتهز فرصة غيابها عن البيت ليتمتع بحياته بين عمله وأصدقائه ،وكأنها كانت قيد في حياته ما إن تخلص منه حتى انطلق ليحيا بحرية ليقطع أفكارها رنين الهاتف برقم غريب ولكنها قررت أن تجيب على الاتصال ربما يكون أمر هام
ليلى:
-السلام عليكم، من المتصل؟
رامز:
-د.رامز صديق الدكتور زياد العلمي.
ليلى بقلق:

- خير يا دكتور.
رامز:
- زياد مريض للغاية وتم حجزه بالمشفى لتلقي العلاج لحين استقرار حالته.
ليلى بفزع:
- لهذه الدرجة زياد مريض؟!
رامز بحرج:
-زياد صديق عزيز، في الفترة الأخيرة كان حزينًا بائسًا يعمل في صمت ولا يغادر المشفى حتى في يوم راحته، وبعد أن عثرنا عليه غائب عن الوعي على أرضية غرفة العمليات ،كان يهذي صارخًا باسمك قبل أن يسترد وعيه، وبعد أن استرد وعيه طلب مني ألا أخبر أحدًا من أهل بيته بما حدث و ألا أجيب على الهاتف وأخبرهم بأنه مشغول في العمليات.
قاطعته ليلى:
-لماذا اتصلت بي إذًا؟
رامز:

-تأكدت أنه يعاني من مشكلة في بيته وقررت
الاتصال بحضرتك لأخبرك بالأمر ،د.ليلى زياد
مريض وحالته لا تتحسن بصورة جيدة، أعتقد أنه
يحتاج إلى وجودك بجانبه في هذه الفترة، أعتذر عن
تدخلي في حياتكم ولكني أعتبرها مساعدة لصديق.
ليلى:
-شكرًا لك د.رامز
لم يكن لديها وقت لتفكر أو تختار، ارتدت ملابسها
وانطلقت مسرعة إلى المشفى لتجد زياد نائم في
هدوء على فراش أبيض وجسده موصول بالأسلاك
والمحاليل، اطلعت على تحاليله وفحوصاته، زياد
فعلًا مريض ويحتاج للعلاج والراحة، اقتربت منه
وأخذت تربت على كتفه وتهمس في أذنه:
زياد زوجي الحبيب يعلم الله حبي لك، كم تمنيت أن
أبقى بجانبك حتى آخر العمر ولكن الأمنيات وحدها
لا تكفي ، زياد حبنا لا يمكن أن يستمر،شفاك الله
وعفاك وردك سالمًا إلى أهلك وعملك، ودعته بقبلة
على وجنته وانصرفت إلى وجهة لم تذهب إليها من
قبل.

زياد:

-أكانت هنا رامز؟

رامز بدهشة:

-من تقصد؟

زياد:

-ليلى زوجتي .

رامز:

- كنت نائم يا زياد، هل شعرت بها؟

زياد:

-وكأنها كانت تودعني، أرجوك ساعدني كي أخرج من المشفى وأذهب إلى ليلى في بيت أهلها.

رامز:

-اصبر حتى تتحسن حالتك.

ولكن طرقات على الباب قطعت حديثهم.

زياد بصدمة:

- أبي!!.

والد زياد:

- حلمي العلمي ،إذا لم تنسَ والدك الذي أخفيت عنه مرضك وعلاجك كما أخفيت عنه من قبل خلافك مع زوجتك ومرضها ورحيلها إلى بيت أهلها.

زياد بألم:

-أبي أرجوك.....

حلمي مقاطعًا:

- ماذا ترجو؟ أترك ابني يغرق ولا أساعده!!

زياد بحزن:

-أبي ،أنا مريض جدًا، حياتي انقلبت رأسًا على عقب في أيام.

حلمي بضيق:

-لأنك لم تتطلب النصح والمشورة.

زياد بحزن:

-ليت الزمان يعود.

حلمي بهدوء:

- استرد صحتك وعافيتك وأنا معك لنحاول إصلاح أخطاء الماضي.

زياد:

-كيف أصلح ما مضى بعد أن اختفت ليلى.

حلمي بقلق:

-اختفت؟! هل أنت متأكد؟؟

زياد بحزن:

-لا تجيب على هاتفها، وحين اتصلت بحارس العقار أخبرني أنها وضعت الحقائب بالسيارة ولم تخبره عن وجهتها.

الفصل السابع
موعد مع الماضى

إنَّ القلوبَ برغم البُعد تتّصل
لا القلب ينسى حبيباً كان يعشقُه
ولا النجوم على الأفلاك تنفصل

أحيانا نعتقد ان الهروب سبيل للنسيان،وان الزمن عامل مساعد ولكن ما يؤلمها ان الذكريات كانت تطاردها دوما حتى في قمة انشغالها واجهادها ،صوته..كلماته..مساندته لها ..ضحكته..
بدر المنذر كان ولا يزال بقلبها،أفاقت من شرودها على صوت أحد افراد امن المشفى يطلب منها رؤية شخص في مطعم المشفى طلب مقابلتها
لورين بدهشة:
-بدر
بدرحاملا باقة من الياسمين بين يديه:
-أهكذا يكون اللقاء بعد الفراق؟
لورين بدهشة:
-الياسمين! لماذا؟
بدر:
- تحكي الاسطورة عن عاشقين حدث الخصام بينهما ففترقا فتركت له حبيبته الكوكب لتهيم بحزنها بين الكواكب ولكنه لم يستطع تحمل الفراق فكان يتبعها من كوكب إلى آخر وعندما يصل إلى كوكب يجدها قد غادرته فيواصل البحث عنها بين الكواكب حتى

وصلت الارض فبكت ومكان كل دمعه سقطت من عينيها نبتت زهرة بيضاء حتى أمتلات الارض بالزهور فرحلت ووصل بعدها حبيبيها المكان بعد ان غادرتة فرأى الزهور وعلم انها كانت هنا فأنحنى يعانق تلك الزهور شوق وهياما وحزنا على فراقها فكان كلما قبض على زهره ليعانقها أنحنت له فلونها فقبض على أخرى فانحنت له فلونها وعلى هذه فانحنت فلونها
كل زهره أنحنت له أصبحت ملونه الا تلك ...
رفضت الانحناء له ... أنها زهرة الياسمين
انتى ياسمينتى التي ابت ان تنحنى للفراق وبقيت بيضاء شامخة بقلبى طول الوقت
ثم غادر مسرعا.
 تركها بين مفاجأة حضوره وغرابة تصرفه، لا تدرى ماذا تفعل؟
لسوء الحظ مؤنستها ميرال في ظلال قصر الحمراء تستمتع باجازة زواجها، ولا يوجد أحد تثق به لتحكى له تلك الفوضى والحيرة التي عصفت بها بعد لقاء بدر.

بعد نهاية الدوام وهي على مقربة من باب المشفى وجدته أمام سيارته وحينما خرجت، توجه إليها قائلا بابتسامة صافية :

-انتظرتك طويلا.

لورين بجفاء:

-ماذا تريد؟

بدر:

-اقبلى دعوتى على العشاء.

لورين بضيق:

-أنا مجهدة بعد يوم عمل طويل.

بدر:

-رجاءا لورا، اقبلى دعوتى.

لورين:

-حسنا.

توجها بالسيارة إلى مطعم في أحد ضواحي لندن وفوجئت به يطلب نفس الطعام الذي طلبه في آخر لقاء لهم بصفاقس

لورين بدهشة:

-ألا زلت تذكر طعامى المفضل.

بدر هامسا:
-من يسكن الروح كيف القلب ينساه.
خفق قلبها بشدة، كانت تشعر دقاته ولكنها وجهت كلماتها لبدر بحزم:
-يبدو ان لديك ما تقوله،تفضل اسمعك جيدا.
بدر:
-منذ سنوات طويلة أحببت انسانة جميلة رقيقة ،كانت طفولتي وشبابى ،زهرة تفتحت أمام عينى سقيتها حبى واهتمامى، ولما صارت فتاة ناضجة كانت مليئة بالحماس والطموح، عاهدت ربى أن اصونها واحميها حتى من نفسى ولما كتب الله لنا الزواج، زرقها الله منحة طبية في أكسفورد الحلم الذي تمنته طويلا، كان من الانانية أن اجبارها على رفض المنحة لتبقى إلى جوارى في تونس نظرا للمشكلات التي كانت تواجه شركات أبي في تلك الفترة الصعبة
لم اخبرها بالخطر الذي كان يهدد حياة عائلتى وكل من يقترب مني، آثرت أن احميها من الخطر، تمنيت نجاحها وسعادتها حتى لو ابتعدت عنى...

قاطعته لورين بحدة:
-لماذا لم تمنحها حرية الاختيار؟
بدربحزن:
-كنت أخشى أن يختار قلبها اختيارا يندم عليه عقلها طول العمر.
لورين بغضب:
-أنا مجهدة جدا ، لنغادر الآن.
بدر:
-حسنا.
اوصلها بسيارته وطول الطريق لم تنطق بكلمة، وحينما وصلا إلى منزلها،أوقف بدر السيارة والتفت إليها قائلا:
-لم ينتهى كلامى معك بعد،استريحى الليلة ولنا لقاء آخر.
نظرت إليه في ضيق ثم انصرفت دون ان تنطق بكلمة.
فتحت باب شقتها واتجهت إلى غرفتهاودفنت رأسها في وسادتها واستلمت لبكاء مرير، دموع حارقة ،مر بخاطرها آخر لقاء جمعهما بصفاقس

لورين بسعادة:
-أخيرا زوجى الحبيب تحقق حلم العمر، تم قبولى بمنحة جامعة أكسفورد
بدر بفرحة:
-مبارك ،حبيبتى
لورين بحماس:
-لنجهز اشيائنا ونبدأ رحلتنا الجميلة في لندن
بدر باشفاق:
-لا يمكنى السفر إلى لندن في هذا التوقيت،ربما من الأفضل ان ننفصل.
لورين بصدمة:
-لقد كتب كتابنا منذ أسبوع وأنت الآن تقول ننفصل.
بدر بثبات:
-هذا هو الافضل، لدى عمل كثير في شركة والدى لابد أن اتابعه بنفسى وأنتِ لديك عملك ودراستك ولن تتأخرى عنها.
لورين بصدمة:
-بهذه البساطة.

انصرفت مسرعة وقدماها لا تقوى على حملها ،
قلبها يكاد ينفجر من الألم،عيناها لم تعد ترى شيئا
في هذا العالم،تشعر وكأنها سقطت للتو من قمة
جبل،ارتطام عنيف مدوى يهز اركان حياتها
نعم تخلى عنها بدر بكل بساطة،لم يكلف نفسه عناء
البحث عن حل يجمعهم ويحفظ حبهم،اختار اسهل
الطرق،لم يخطر على قلبها ان الرجل الوحيد الذي
تمكن من فك شفراته، يتخلى عنها عند اول منعطف
في حياتهم.
انسان واتته الشجاعة كى يطلب فراق انسانة
تحبه،ماذا تنتظرى منه ؟
حسنا ليكن الانفصال ولتكن بعده حياة جديدة لن
تسمح فيها لمخلوق ان يخترق حصون قلبها.
كانت الذكريات تمر امام عينها كشريط سينما،مشهد
الانفصال..السفر إلى لندن..الفترة الأولى في عملها
واحساسها الرهيب بالوحدة والغربة..ليالى الحزن
والالم والدموع ...بداية الاستقرار في عملها
ونجاحها ..صداقتها مع ميرال والسكن معها ،وعلى
مدار عامين وهي تجاهد للنجاح للدفاع عن كيانها

وتحقيق احلامها حتى عادت إليها الضحكة الصافية بعد سنوات غياب.
قلبها المثقل بذكرياته الحزينة يأبى الراحة وجسدها المجهد يصرخ طالبا النوم لتنتهى المعركة بغيابها في نوم عميق.
في الصباح استيقظت بتكاسل وهي تشعر بالآم شديدة في رأسها،وقفت امام المرأة لتعدل هيئتها ولكن لا يمكن الذهاب للعمل بهاتين العينين المتورمتين من البكاء،بدأت بكمادات باردة على امل ان يتحسن المنظر ولو قليلا،ولكن لا بأس ستذهب للعمل لا داعى للتأخير.
العمل فرصة جيدة لتنسى ولو قليلا همومك ومشكلاتك،لتساعد الناس وتخفف عنهم وستجد الكثيرين لديهم اوجاع ومتاعب تفوق ما تعانى أنت منه وعلى الرغم من ذلك راضين بقضاء الله شاكرين الكريم على نعمه فهو ان اخذ فقد سبق بالعطاء فله الحمد على ما اعطى وله الحمد على ما اخذ ،كهذا كان حال المريضة اليمنية درة شابة في منتهى الجمال والبراءة عمرها ثمانية وعشرون عاما

تزوجت من حب عمرها منذ ثلاث سنوات ويشاء القدروهى تجرى فحوصات بشأن تأخر الانجاب ان تكتشف وجود أحد الأورام الخبيثة بالمبيض وللأسف هناك بدايات انتشار للورم في منطقة الحوض كما أظهرت الفحوصات حتى هذه اللحظة.

لورين بحزن:

-كيف حالك اليوم يا درة؟

درة :

-الحمد لله على كل حال

لورين:

-اين زوجك؟

درة:

-فارس خرج لاحضار بعض الأشياء

ولم ينهيا كلامهما حتى دخل فارس ممسكا باقة من التيوليب الأبيض،وضعها بين يدى زوجته وقبل رأسها قائلا:

-صباح الخير درتى الغالية.

يا الله ..رجل يهدى زوجته المريضة الازهار وربما يسمعها قصيدة حب ليخفف عنها مرضها ولورين

على وشك ان تخبره بأن زوجته الشابة عليها القيام باستئصال للمبيض المصاب مع العلاج الاشعاعى لمنطقة الحوض والذي سيدمر بدوره المبيض الأخر وبالتالي فرصتها في الانجاب تكاد تكون معدومة هذا ان لم يكن الورم قد انتشر إلى مناطق أخرى بالجسد،قررت الانصراف ولكنه استوقفها بقوله:

-أيتها الطبيبة.

لورين:

- نعم.

فارس:

-هذا التقرير حصلت عليه بالأمس من المشفى. انه تقرير بحالة درة والإجراءات العلاجية التي سيتم اتخاذها ومترجم باللغة العربية،هذا ما كانت تنوى توضيحه لهم.

لورين بتعجب:

-من اين اتيت بهذا التقرير؟

فارس:

-طلبته من المشفى بالأمس،انظرى إلى ختم المشفى.

لورين:

-نعم الختم ولكن كيف حصلت على الترجمة العربية؟
فارس:
-احد مكاتب الترجمة القريبة من هنا،لأطمئن على حالة زوجتى.
لم تجد ما تقوله،الغريب ان صدمتها ربما كانت اشد منهم،يبدو عليهم الهدوء والرضا.
فارس:
-طبيبة لورين،الحمد لله على كل حال ،تمنيت ان يرزقنى الله ب درة وحين تم الزواج،سعدت بأجمل أيام حياتنا ودعوت الله الا يحرمنى قربها وأنا اثق بربى انه سيشفيها ويعافيها.
تكفينى الحياة بقربها،قربها نعمة اكرمنى الله بها،الأطفال رزق ورزق الله واسع وأنا احمد الله ان رزقنى حبها.
لورين بابتسامة:
- بارك الله لكما وشفا درة وحفظكما الله من كل سوء.

ودعتهم وانصرفت مسرعة ولكن دموعها سبقتها،اخذت تدعو الله لهما من قلبها ان يبارك حبهما ويجمعهما على خير،وتذكرت كلمات كانت جدتها ترددها كثيرا
(انو حب الناس بيحرُس الناس و اللي بيعطي، السعادِة بكاس بتِرجعلو بمِيِّة كاس. رميت السعادِة للناس، زهَّرِت بإيدي..)
مر يومها بسلام رغم التعب والاجهاد الذي عانت منه ،بعد قليل ستصل بيتها تنعم بالراحة والهدوء ،وبينما لورين مغادرة عند باب المشفى اذ بها تجد احدى صديقاتها التونسيات برفقة زوجها
نادين:
-لورين، كيفك إشتقتلك
لورين:
- الحمد لله نادين ،كيفك أنتِ والدكتور أنس؟
أنس:
-الحمد لله في نعمة،كيفك أنتِ و المهندس بدر؟
لورين بحزن:
-بدر

أنس متسائلا:
-مهندس بدر زوجك
لورين بحزن:
-كان زوجى وانفصلنا منذ عامين قبل السفر لانجلترا
نادين:
-آسفة حبيبتى.
لورين:
-لا عليك،الحياة لا تتوقف.
أنس:
- أتمنى ان تقبلى دعوتنا على العشاء،هناك امرا اريد الحديث بشأنه معك.
قبلت دعوتهم وهي تشعر بالقلق،ترى ما هذا الامر؟
وفي أحد الفنادق الراقية وعلى مائدة عشاء انيقة،كانت تنتظر بشغف ما سيتحدث د.أنس بشأنه.
نادين:
-يبدو عليكى الاجهاد والقلق يا عزيزتى.
لورين:
-كان يوم عمل طويل.
أنس:

-كنت اعلم بقصة الحب الجميلة التي جمعتك ببدر بحكم صداقتك بنادين كما ان بدر أحد جيرانى،منذ عامين قدم لى بدر فحوصات تؤكد اصابته بسرطان الدم (اللوكيميا) ولحسن الحظ كان السرطان بمرحلة مبكرة،بدأنا العلاج بالفعل في تونس ولكن بدر طلب منى ألا اخبر أحدا بهذا الأمر واحترمت رغبته وحقه كمريض وتمت مرحلة من العلاج بنجاح في تونس وسافر بدر إلى نيويورك لتكملة العلاج.

لورين بصدمة:

-اللوكيميا؟! منذ متى؟

أنس:

-منذ عامين.

لورين:

- وماذا عن حالته الآن؟

أنس:

-لا أدري هل اثر هذا على قرار انفصالكم أم لا،ولكن حالته مستقرة بعدما عاد من أمريكا و المتابعة مطلوبة.

لورين:

-لماذا لم تطلب منه إعادة الفحوصات؟
أنس:
-لم اره منذ مدة،حتى قبل سفرى من تونس لحضور مؤتمر في لندن،سألت اهله عنه واخبرونى انه ربما سافر للقيام ببعض اعمال الشركة.
صدمة هزت كيانها..لماذا اخفي بدر عنها؟ لماذا رفض وجودها بجانبه وقت مرضه؟ لماذا تخلي عنها؟ أسئلة وعلامات استفهام تتصارع بعقلها ولكن هل من جواب؟
نادين:
-انس لم يخبرنى بمرض بدر،لم اكن اخفى عنك امرا كهذا.
لورين:
-لا عليك نادين.
أنس:
-كيف تسير أمورك في لندن؟
لورين:
-الحمد لله،الأمور تسير بشكل جيد.
نادين:

-هل زرت تونس مؤخرا؟
لورين:
-للأسف،لا.
أنس:
-أتمنى لك إجازة قريبة في تونس ولا تنسى زيارتنا في سوسة.
لورين:
-شكرا لكم على الدعوة الكريمة،أتمنى لكم وقت ممتع في لندن،استأذن للمغادرة.
نادين:لا يمكن ان تغادرى بمفردك،سنوصلك لبيتك أنا وأنس.
لورين:
-بارك الله فيكى نادين،ربما شغلتكم عن بعض المهام.
نادين:
-أنت اخت غالية لورين،حفظك الله و اسعد قلبك
وصلت إلى بيتها تتمنى ان تنام كى تهدأ و تسترح،عقلها المجهد يصرخ طالبا النجاة من عواصف الأفكار التي ألمت به ،كيف تمكن ،وكأنها

تتوسل النوم ان يبسط سلطانه على عقلها المسكين،ترى ماذا تخفى الأيام القادمة من مفاجأت لم تعرفها بعد؟

يوم جديد بين صفحات الكتب في مكتبة الجامعة،بعيدا عن المشفى والمرضى والعمليات حاولت التركيز في الكتاب الذي بين يديها،ولكن الامر صعب.. عيناك تطالع الكلمات وعقلك يأبى مرورها إلى اروقته وساحاته.

اغلقت الكتاب بيأس،ان استمرت على هذا الحال لن تنجز البحث المطلوب ولكن صوتا غريبا استوقفها قائلا:

-طبيبة لورين،هناك من ينتظرك بالخارج.

خرجت لترى من ينتظرها،انه بدر.

لورين:

-كيف علمت بوجودى هنا؟

بدر:

-سألت زملائك واخبرونى انه يومك المخصص للأبحاث وغالبا ما تذهبين إلى المكتبة.

لورين بعصبية:

-وماذا أيضا،هل تتحرى عنى ؟
بدر:
-هل يمكن ان نتحدث قليلا خارج المكتبة؟هناك مطعم قريب من المكتبة ،أعدك ألا نتأخر.
لورين بنفاذ صبر:
- حسنا
توجها إلى المطعم وجلس بدر يتأمل ملامحها
بدربهدوء:
-عيناكى تخبرانى انهما لم تحظى بنوم هادئ منذ أيام ويديك المرتعشتين دليل على أنك لم تتناولى افطارك اليوم.
قاطعته بحدة:
-كف عن هذا المزاح واخبرنى لماذا كذبت على؟
بدر بدهشة:
- أنا كذبت عليكى؟
لورين بحزن:
-واخفيت عنى امر مرضك .
بدر بضيق:
-من اخبرك بهذا؟

لورين بجمود:
- لا يهم من اخبرنى،يكفينى انى علمت.
لماذا يا بدر؟ لماذا؟
بدر بشرود:
-لم يكن من النبل ان استغل قلب انسانة احبتنى لأجبرها على التخلي عن حلمها والبقاء إلى جانبي في مرضى.
لورين بألم:
- لكن كان من النبل ان تبعد هذا الحب من طريقك وتلقى به بعيدا وتعايشك آلامك وحيدا.
بدر بحزن:
- لم اكن لأحتمل نظرة شفقة من العيون التي غمرتنى بالحب يوما
لورين بضيق:
-لن تتحمل الشفقة،لكن يمكنك تحمل الفراق،تظن أنك المالك للقلوب تطلبها متى شئت وترفضها متى شئت.
بدر:
-أنا.....

قاطعته لورين بحدة:
-لا اريد سماع مبررات، شكرا لانك فتحت جرحا كنت اظنه قد شفى.
وغادرت بسرعة وهي تشعر بدوار شديد وقلبها يؤلمها بشدة وما إن وصلت سيارتها وجلست خلف المقود حتى فقدت السيطرة على اعصابها ولم تعد تشعر بشئ وفقدت الوعى.

لم تدرى كم مر من الزمن ولكنها ما إن استعدت وعيها حتى وجدت بدر جالسا إلى جوارها والقلق باديا على قسمات وجهه.
لورين باجهاد:
-اين أنا ؟
بدر:
-شقتك.
لورين بدهشة:
-شقتى!!
بدر:

-نعم،اخذت المفاتيح من حقيبتك واحضرتك إلى هنا وطلبت ليكى الطبيب لأنى اعلم أنك لا تحبين العلاج بالمشفى ،وقد طمأننى الطبيب على صحتك.
تحتاجين فترة من الراحة ونوم كاف وتغذية جيدة،وقد احضرت لك الادوية التي كتبها الطبيب.

لورين:

- شكرا لك.

احتضن بدر كفها بيديه وطبع عليها قبلة رقيقة وهمس قائلا:

-لا شكر على واجب،سأنصرف الآن واطمئن عليك عبر الهاتف..اهتمى بصحتك جيدا.

لورين بخجل:

-حسنا.

رحل بدر واعلن هاتفها عن مكالمة من الغالية ميرال،لكأنها تشعر بها وبحاجتها إلى الحديث إليها وكعادتها كمستمعة جيدة،انصتت إلى ما ارادت قوله ولم تقاطعها.

ميرال:

-لا يزال حبه في قلبك.

لورين بحيرة:

-لا

ميرال:

-لا تكذبى على نفسك،حبك له هو ما سبب لك الاضطراب عندما رأيته بعد سنوات،حبك له سبب صدمتك عندما علمت بحقيقة مرضه،صارحى نفسك بالحقيقة أولا.

لورين:

-أنا مريضة، رولا.

ميرال باشفاق:

دَواؤُكَ فيكَ وَما تُبصِرُ   وَدَاؤُكَ مِنكَ وَما تَشعُرُ
أَتَزعُمُ أَنَّكَ جُرمٌ صَغير   وَفيكَ اِنطَوى العالَمُ الأَكبَرَ

لورين:

-متى ستعودين من اسبانيا ؟

-غدا ان شاء الله.

-وكيف حالك أنتِ وباسل؟

-بخير والحمد لله.

-تعودين الينا بسلامة الله.

-اهتمى بصحتك جيدا.
-حسنا،نلتقى على خير باذن الله.
لا يدرى كيف يتفاهم مع لورين،كيف يسترد حبيبته؟
وهل يمكن ان نسترد ما ابعدناه عنا يوما بارادتنا؟
وهل تظل القلوب على حالتها رغم الألم والفراق؟
وهل كل الجروح يمكن مداواتها أم هناك جروحا لا تبرأ ابدا؟
هي لاتعلم كم تعذب بفراقها،طيفها لا يغادره
كل صباح يسأل نفسه:كيف تحملت غيابه وماذا تفعل وفيم تفكر؟
شعور بالفقد لا يفارقه،افتقد كيانا داعما له.. قلبا لطالما احتواه ومنحه حبا والحنان.
فتح محفظته واخرج صورة لما تفارقه ابدا..صورة جمعته ب لورين على شاطئ صفاقس بعد عقد قرانهما بابتسامها الصافية وعيناها اللتان تكشف عن قلب يحبه ويعشقه،ترى هل بقى شيء من ذاك الحب رغم مرور الزمن؟
بعد مرور عدة أيام هاتفها ليطمئن على صحتها
-كيف حالك،لورين؟

-بخير والحمد لله.
-هل يمكن ان التقيك قريبا؟
-ليس الآن،لازلت متعبة قليلا.
-هل يمكن ان أسالك سؤال؟
-تفضل.
-لماذا لم ترتبطى حتى الآن؟
-كنت منشغلة بالعمل والدراسة.
-أهذه هي الحقيقة؟
-بدر،ما غرضك من وراء هذا السؤال؟
-لازلت تسكنين قلبى،لورى.
-أما قلبى أنا اغلقته من زمن وربما فقدت المفتاح ولم اجده.
-ابحث عن المفتاح وأجده.
-ما قيمة ان نفتح الأبواب بعد فوات الأوان.
- وهل أغلقت الأبواب حتى نفتحها ؟؟
لو حقا أغلقت أبواب الماضى في قلبك لما تشغلين نفسك بالعمل والدراسة اكثر من اللازم؟
أنت تهربين من الماضى يا عزيزتى
-كفى، بدر.

-ربما تكون محاولتى الأخيرة لإنقاذ الحب الذي أردت دفنه حيا.

-وما ادراك انه حى؟!

-صوتك المرتعش،عيناك الدامعتين.

-وهل ترى دموعى؟!

-وهل يجب ان اراك كى اشعر بك؟!

-انسى لورين.

-وهل تمكنتى من نسيانى؟

-كف عن تعذيبى.

-أنا ابحث عن راحتك.سأنتظرك حبيبتى،في رعاية الله.

-في رعاية الله،مع السلامة.

ماذا لو اختارت لورين البعد الآن كما اختاره بدر من قبل؟

كيف سيعيش حياته؟

ربما يعود إلى أمريكا مرة أخرى ويبدأ بعمل جديد مع اشخاص جدد،لكنه قطعا لن يستمر في تونس.

بعد خروجه من المشفى،حصل على أسبوع للراحة والنقاهة لم يتوقف عن البحث عن ليلى، هاتفها مغلق وغادرت بيت أهلها إلى وجهة غير معلومة وليس لديه الشجاعة ليهاتف والدها ويخبره ان ابنته على وشك الانفصال وانه يتحمل جزء كبير مما حدث بينهم وقد اختفت بعد طلبها إجازة من عملها لمدة شهر ولا يعلم بمكانها حتى الآن.

قطعت طرقات امه على الباب افكاره البائسة

درية:

-زياد،هناك رجل ينتظر بالخارج ويقول انه محامى

زياد:

-حسنا.

المحامى:

-مرحبا د.زياد،أنا موكل من قبل السيدة ليلى زوجتك

زياد بدهشة:

- لماذا؟

المحامى:

-لاتمام مسألة الطلاق

زياد باستنكار:

- الطلاق

المحامى:

-نعم

زياد باصرار:

- اريد منك عنوان السيدة ليلى ورقم هاتفها،لابد ان اناقشها قبل أولا قبل الطلاق

المحامى :

-لا اعرف عنوانها ولكني حدثتها بالأمس من هذا الرقم

دون زياد الرقم وحاول الاتصال به ولكن بلا فائدة،قرر البحث عن كل مكان يعرفه يخص ليلى وأهلها يمكن ان تلجأ إليه،أسبوعان من البحث بلا جدوى.

الفصل الثامن

غد ينتظرنا

الحب زهرة جميلة لا يفوح أريجها إلا إذا تساقطت عليها قطرات الدموع.

بعد الأيام الرائعة التي تمتعا بها في اسبانيا عادا إلى إنجلترا لتدور عجلة الحياة من جديد،على حالهم كل في غرفته يلتقون وقت الطعام في الأيام التي لامناوبات فيها.
بينما باسل نائم بعد يوم من العمل والارهاق، رأي في منامه خالد اخيه وهو يتشاجر مع زوجته ويصرخ فيها وفجأة اخرج مسدسه وراح يطلق عليها الرصاص وهو يقول:
-سأنتقم منك وانتقم من قلبى الذي اختارك
قلبى اختارسبب عذابه.
اقتحم باب الغرفة وظل يصرخ به :
-لا يا خالد..لا تقتلها..خالد ..خالد.

ليلة طويلة من ليالى الشتاء قارص البرودة في إنجلترا،جفاها النوم وبقيت متيقظة بصحبة أحد كتبها الطبية ولكن النوم هذا الزائر العزيز دوما ما يأتي في وقت المذاكرة لذا تصنعت المذاكرة ربما تحظى بنوم هادئ في ليلة باردة وقرب منتصف الليل سمعت صرخة مدوية ربما تأتى من غرفة باسل

،أسرعت إلى باسل وما إن فتحت باب الغرفة حتى وجدته نائما يصرخ خالد.. خالد،جسده ينتفض بشدة وصدره يعلو ويهبط بعنف وانفاسه لاهثة وكأنه يطارد وحشا ويتعرق بغزارة،أيقظته وهي تربت على كتفه قائلة:

-باسل اهدأ أنت بخير

فتح عينيه وظل ينظر حوله بخوف ولكنها اعطته كوبا من الماء،تناوله بكفين مرتعشتين ونطق بصعوبة :

-كان كابوس رهيب.

ميرال:

-استعذ بالله من الشيطان الرجيم ولا تحكى عن هذا الكابوس وانساه.

باسل:

- ارجوكى ابقى معى،واعدك ألا افعل ما يغضبك.

ميرال:

-لا تقلق سأبقى إلى جوارك.

بقيت إلى جواره تمسح على شعر رأسه وهي تقرأ المعوذتين واية الكرسى،حتى هدأت أنفاسه ونام.

لم ترى باسل في حياتها بهذا الرعب والقلق من قبل،ربما لأن الكابوس له صلة باهله،لكنها قلقة عليه للغاية.
في الصباح كان باسل افضل حالا،تناولا الافطار في هدوء وانطلقا إلى يوم عمل جديد.

السعادة لحظات في حياة كل منا حتى وان لم تدم تلك اللحظات فتكفينا الذكرى،لم تدم سعادته بقرب ميرال طويلا،فقد تكرر الكابوس اربع ليالى في الأسبوع، صار يخاف النوم وكل ليلة يطمئن على اهله بالقاهرة ويقسمون له انهم بخير،الحزن والقلق لا يفارقان عينا ميرال.
ميرال بقلق:
-أنت في حاجة لاستشارة طبيب نفسى.
باسل:
- لا تقلقى أنا بخير مجرد إرهاق وضغط بالعمل مع اضطرابات في النوم، سأحصل على فترة راحة وأعود بخير.
ميرال:

-اتمنى ان تكون بخير دوما
أراد طمئنتها وإزالة مخاوفها، تلك المسكينة بعد
شهر من زواجها لم تنعم بحياة زوجية هادئة.
ليته يعبر عن حبه لها،ليته يصارحها بمخاوفه،ربما
تهدأ نفسه وتتحسن حالته.
دوما ما يذكر باسل مقولة محمود درويش ويشعر
وكأنها قيلت لأجله
(أنا العاشق السئ الحظ،لا استطيع الذهاب اليك ولا
استطيع الرجوع إلى ،تمرد قلبى على)
يلاحظها وهي تطالع أحد الكتب،هذا الكتاب الذي
يحظى بقربها دوما،ينعم بأنفاسها الهادئة..لماساتها
الرقيقة ..عطرها الأنيق..عيناها البنيتان تطالعان
كلماته بشغف
مسكين يا باسل،ليتك كتابا تتجول بين صفحاته
بأناملها الدقيقة.
تظاهر بالنوم حتى انهت مذاكرتها وودعت كتابها
ونامت إلى جواره وحينما تأكد انها غابت في نوم
عميق انسحب بهدوء واخذ كتابها إلى مكتبه
واحتضنه بحب وقلبه يسأله:الى متى ،باسل؟

سحب احدى الأوراق وبدأ يخط عليها

مَـا ضَـرَّ لَـوْ أنّـكَ لـي رَاحِـمُ وَعِـلّـتـي أنْـتَ بِـهـا عَـالِـمُ

يَـهْنيكَ يا سُؤلي وَيا بُغيَتي أنّكَ مِمّـا أشْـتَكي سَالِـمِ [1]

تَضْحكُ في الحبّ وَأبكي أنَا الله فِيمَا بَيْنَنَا حَاكِمُ [2]

أقولُ لمّا طارَ عَنّي الكَرَى قَوْلَ مُعَنًّى قَلْبُهُ هَائِمُ: [3]

يا نَائِماً أيقَظَني حُبُّه هبْ لي رُقاداً أيّها النّائِمُ!

وتركها في الكتاب واستسلم لنوم عميق
في الصباح توجه إلى المشفى باكرا وترك حبيبته
تنعم بنوم هادئ في يوم اجازتها من المشفى.

صباح جديد عقب أسبوع من العمل الجاد بين
المشفى والمكتبة وصفحات الكتب استعدادا لامتحان
الزمالة الشهر القادم،ولكن كم الساعة الآن ؟ أين
باسل؟
يا الله انها التاسعة صباحا،باسل في عمله الآن ،لما
لم يوقظها لإعداد الفطور؟

لا بأس بمراجعة ما ذاكرته قبل النوم وفتحت كتابها لتسقط منه ورقة غريبة،دققت النظر فيها انه خط باسل ،قلبها يخفق فرحا بكلماته الرقيقة ،ظللت دقائق تتخيل كلماته بصوته العذب واحساسه الدافئ قطع صوت الهاتف شرودها معلنا وصول رسالة ،من المرسل يا ترى؟

أحِينَ عَلِمتَ حَظّكَ من وِدادي   وَلَمْ تَجْهَلْ مَحَلّكَ منْ فُؤادي

وَقادَني الهَوَى فانقَدْتُ طَوعاً   وما مَكّنتُ غيرَكَ مِنْ قِيَادي[1]

رَضِيتَ ليَ السّقامَ لِبَاسَ جِسْمٍ   كَحَلْتُ الطَّرْفَ مِنْهُ بِالسُّهَادِ[2]

أجِلْ عَيْنَيْكَ في أسْطارِ كُتْبي   تَجِدْ دَمْعي مِزَاجاً لِلْمَدَادِ[3]

فَدَيْتُكَ! إنّني قَدْ ذابَ قَلْبي   مِنَ الشّكْوَى إلى قَلْبٍ جَمَادِ

سامحك الله ،باسل،لتعرفن من تكون صاحبة القلب الجماد.

توجهت إلى المطبخ وعزمت على تنفيذ خطتها
بدأت بإعداد كعكة الشوكولاتة التي يحبها
باسل،وعصير التوت الذي يدمنه،ولكن نفسها
استوقفتها:
-كيف علمت بما يحب؟
اخبرتها:
-راقبته.
سألتها ثانية:
-اذا يهمك امره؟
اخبرتها:
ولم لا،أليس زوجى؟!
وكأنها تعاتبها:
-زوجك فقط؟
لا تدرى هل تحب باسل أم ماذا؟
الحب شعور متبادل بين طرفين،رسائله وكلماته هل
تعنى انه يحبها؟
هل لازالت تخشى الوقوع في الحب؟
هل لازالت تخشى ان يسيطر الحب على قلبها
وعقلها ويدفعها إلى ما لا تريد تحت سيطرته؟

هل باسل يسعى إلى الحب ليشعر انه تملكها
ويتصرف بها كيفما يشاء؟
هل سيكون الحب قيدا يحاصر احلامها وطموحاتها
ويلغى كيانها؟
شهر مر على زواجهم وهما لا زوجين ولا صديقين
وليسا غريبين أيضا،يتناولا طعامهم سويا في صمت
حينما يجمعهم لقاء،يراقب حركاتها وسكناتها في
غفلة منها،تعبيرات وجهه ونظرات عينيه تكفيها
لتطمن عليه
لماذا تزوجته اذن؟ولماذا طلبها؟
سؤال تهرب من التفكير في جواب له وتخشى
مواجهة باسل
ولكن اليوم تريد ان تريه ان قلبها ليس جامدا.

عاد إلى المنزل في المساء بعد يوم عمل طويل ليجد
مفاجاة بانتظاره
هل هذا منزله،ازهار الياسمين واللافندر تعطر
الأجواء بعطرها المميز وهذه كعكة الشوكولاتة التي
يحبها ولكن اين عصير التوت؟

انه هنا بجانب مقعدها المفضل،حقا هي لم تنسى شيئا ولكن اين هي؟
صوتها الدافئ اتى من المطبخ وهي تغنى:
تلومني الدنيا إذا أحببتهُ .... كأنني أنا خلقتُ الحبَّ واخترعتُهُ
كأنني أنا على خدودِ الوردِ قد رسمتهُ... كأنني أنا التي للطيرِ في السماءِ قد علّمتهُ
تلومُني الدنيا إذا.. سمّيتُ منْ أحبُّ.. أو ذكرتُه
كأنني أنا الهوى.. وأمُّهُ.. وأختُه
هذا الهوى الذي أتى.. من حيثُ ما انتظرتهُ
مختلفٌ عن كلّ ما عرفتهُ.. مختلفٌ عن كلِّ ما قرأتهُ.. وكلِّ ما سمعتهُ
لو كنتُ أدري أنهُ.. بابٌ كثيرُ الريحِ.. ما فتحتهُ
لو كنتُ أدري أنهُ...
قاطعها محيطا بخصرها من الخلف
قائلا بحب:
-لو كنت أدري أنك تدوما تغنين في غيابى ما غبت.
احمرت وجنتاها لتزيد ذات الخصلات البنية الرقيقة على ملامحها الهادئة ،جمالا وعذوبة

وتضيف بهمسها الذي ارهق قلبه:
-حمدا لله على سلامتك،كيف كان يومك؟
اجابها بحنان:
بخيروالحمد لله.ماذا اعددت لنا ،سندريلا؟
ميرال بخجل:
-كل ما تحب؟
ادار وجهها له ونظر لعينيها واقترب من شفتيها الرقيقتين ولكن هاتفه اللعين باغته برنينه معلنا اتصال من الطوارئ
باسل بضيق:
- نعم،عمار،هل هناك جديد؟
عمار بصبر:
-اسف على ازعاجك ،باسل ولكن هناك حالة إصابة بطلق نارى في الصدر،احد الاخصائيين المناوبين في العمليات والاخصائى الأخر مرض فجأة ونحتاج وجودك.
باسل:
-حسنا، قادم اليك.
ميرال:

-ربنا يعينك و يرزقك التوفيق
باسل بحب:
-أنا بخير وأنتِ إلى جوارى وصوت دعائك يطمئن قلبى.

انتظرت طويلا حتى يعود،و قد عزمت على الحديث معه بكل شيء.
حبه الذي يسكن قلبها،مخاوفها التي تمنعها من مصارحته بهذا الحب.
انتبهت فجأة على صوت اطلاق للرصاص..لم يكن صوت الرصاص مألوفا على اذنها ولكنها سمعته من قبل في رحلتهم في كينيا قريبا من فندق اقامتهم ولكنه الآن يبدو قريبا جدا.
توجهت إلى الشرفة ولكنها لم ترى شيئا، فالاضاءة خافتة في هذا الوقت المتأخرمن الليل، شعرت بقبضة في قلبها فالتقطت حجابها مسرعة والتقطت مصباح للاضاءة واستخدمت الدرج وحينما وصلت إلى مدخل العقار،كانت المفاجأة.

باسل ملقى على الأرض غارقا في دمائه والظلام مسيطر على المكان،تجمدت في مكانها للحظات ثم اندفعت نحوه تتفقد نبضه وتنفسه.

ميرال بفزع:

-باسل،هل أنت بخير؟

باسل:

-التنفس صعب.

اتصلت بالاسعاف سريعا والقلق والتوتر يجتاح كل خلية من خلاياها ،برغم من كونها طبيبة وتشاهد هذه المواقف الصعبة والحرجة كل يوم الا ان الامر مختلف حينما تكون مسئولا عن انقاذ روحك في جسد اخر، نقل باسل إلى المشفى ليخضع لجراجة عاجلة لاستخراج رصاصة في الظهر لاتبعد كثيرا عن النخاع الشوكى،جراحة كبيرة وخطيرة هي الامل في انقاذ حياته.

ولا تزال كلمات باسل -قبل خضوعه للتخدير- تترد في اذنها:

سنموت يوما يا حبيبتى وفى القلب كلام لم يقال

سنموت يوما وفى العيون أسئلة لم تجاب

سنموت يوما وحبك في قلبى كالروح للجسد

شريف الأخ والسند اول من بدر إلى ذهنها ان تطلب عونه ومساعدته ،وصله صوتها الباكى المنهار ليصدمه ويزلزل كيانه،حجز على اول رحلة من كندا إلى لندن وتوجه مسرعا إلى المشفى ليجدها في حالة من الانهيار ودموعها لا تتوقف
شريف محتضنا ميرال:
-اهدئى حبيبتى،ستمر الأمور بخير
ميرال بانهيار:
-باسل بين الحياة والموت
شريف:
-الحياة والموت بأمر الله
اربعة أيام قضاها باسل في الرعاية المركزة عقب استخراج الرصاصة التي اصابته،لم تذق ميرال فيها طعم النوم لحظة،بدت كزهرة ذابلة اضعفها الألم والقلق.
شريف:
-رولا،لابد ان تستريحى،أنتِ مريضة جدا

ميرال باجهاد:
-لن انام دون ان اطمئن على باسل
شريف:
- سيسترد وعيه وتستقر حالته قريبا
نهضت ميرال بتثاقل:
-اشعر بدوار بسيط.
اسندها شريف لبضع خطوات ولكنها سقطت بين ذراعيه فاقدة للوعى.

اخر ما سمعه منها
(احبك بكل جوارحى،، احبك من أعماق روحى)
ود لو احتضنها واخبرها بحبه لها ولكن الألم وقتها كان اقوى منه والرصاصة لا تزال بجسده ولكنه بدأ يشعر بتحسن والالم يقل تدريجيا..بدا قادرا على فتح عينيه وتحريك اطرافه ،لكن ميرال لم تكن بجانبه
شريف:
-حمدا لله على سلامتك،باسل.
باسل:
-سلمك الله ،اين ميرال؟

شريف:

- مجهدة وفى حاجة للراحة

باسل:

-ماذا أصابها؟

شريف:

-كانت قلقة جدا في الأيام السابقة كما ان صحتها تأثرت بعد تبرعها لك بالدم.

باسل:

-دم ميرال يجرى في عروقى الآن،أنا مدين لها بحياتى

شريف:

-حفظك الله وبارك في حياتكما.

باسل:

-اتعبناك معنا.

شريف:

-المهم انى اطمئننت عليكم.

شريط من الذكريات مر بخاطرها ما بين القاهرة ولندن وكينيا... الحب والخوف والقلق.. لم تشعر

بالألم يعتصر قلبها هكذا من قبل.. باسل بأنفاسه المتقطعة غارقا في دمائه..ترى كيف حاله الآن؟

ميرال:

-اين انا؟

شريف:

-في المشفى.

ميرال:

-هل أفاق باسل؟

شريف:

-نعم،صحته في تحسن

ميرال:

-اريد رؤيته،اصحبنى إلى غرفته

شريف:

-رولا، تحتاجين وقت للراحة،لا زلت مريضة.

ميرال:

-ارجوك،اريد الاطمئنان عليه.

شريف:

-حسنا

اسندها شريف حتى وصلت لغرفة باسل،كان جسده ساكنا لا يزال متصلا بالاسلاك والمحاليل،اقتربت منه بهدوء واخذت تربت على شعره بحنان وطبعت قبلة رقيقة بين عينيه وعندما همت بالرحيل تشبثت كفه بكفها هامسا بحب:

-اشتقت اليكى.

ميرال بدموع:

-حمدا لله على سلامتك

باسل مقبلا كفها:

-كتب الله لى السلامة لأعود اليكى..لأطلب منك ان تسامحينى

ميرال باشفاق:

-اسامحك على ماذا ؟

باسل:

-تقصيرى في حقك كزوجة تستحق الحنان والحب.. مخاوفى التي حرمتنا حياة زوجية هانئة،،أنا ظلمتك معى.. لكننى احببتك وتمنيت ان تبقى إلى جوارى حتى آخر العمر

ميرال بدموع:

-أنت مريض ، أنا أيضا ظلمتك وظلمت نفسى معك..كل منا كان ينتظر ان يبادرصاحبه.
باسل:
-كل نفس جديد،امل في حياة افضل حتى وان كانت لحظة،،هناك لحظات غالية جدا كثيرا ما اعادتنا إلى الحياة،،الحياة التي لم نكتشفها الا مع تلك اللحظات.
ابقى معى رولا..ابقى بجانبى..نورا في قلبى وحياتى ابقى لى حبيبة وصديقة واما واختا وكل النساء في عينى
احتضنته ميرال بحب هامسه:
-أنا معك ولك ما حييت.
بينما شريف مغادرا المشفى متوجها إلى شقة اخته وزوجها ليرتاح قليلا بعد ان استقرت حالة باسل واطمئنت ميرال عليه،اذ به يجد طفلة صغيرة تبكى عند باب المشفى،حملها حتى تهدأ ولكن اكثر ما لفت نظره هي القلادة التي ترتديها،قلادة ذهبية تحمل اسم(اريج).الطفلة يبدو عمرها عامين،ملابسها كملابس الأطفال التقليدية لا توحى بنسبتها إلى بلد معينة،ولكن الاسم مكتوب بالعربية ربما اهلها عرب

يعيشون في لندن،تبدو جائعة ،اصطحبها شريف إلى مطعم قريب وطلب لها طعام اكلته سريعا وهدأت قليلا.

قرر شريف ان يتحدث معها ربما تتكلم.

شريف:

-اسمك اريج.

نظرت ايه وقالت:

-ماما.

شريف:

-ما اسمك أنتِ؟

-دادا..

وعادت تبكى من جديد وهي تردد ماما..ماما.

ماذا يفعل بطفلة صغيرة باكية؟

أيسلمها للشرطة كى يسألوا عن أهلها؟

أيبحث هو عن أهلها؟

ولكنها هدأت واستسلمت للنوم على كرسيها،حملها شريف وتوجه إلى شقة اخته وزوجها،وضعها في السرير وجلس إلى جوارها يفكر ماذا يفعل؟

الفصل التاسع

لقاء غير متوقع

هل ترانا نلتقي أم أنها
كانت اللقيا على أرض السراب
ثم ولت وتلاشى ظلها
واستحالت ذكريات للعذاب
هكذا أسأل قلبي كلما
طالت الأيام من بعد الغياب

دخل شريف إلى المشفى بصحبة الصغيرة ذات القلادة،ليطمئن على ميرال أولًا
شريف:
-صباح الخير.كيف حالك اليوم؟
ميرال:
-الحمد لله بخير.من هذه الصغيرة؟!
-وجدتها ضائعة من أهلها عند مدخل المشفى.
-هل سألت عن أهلها؟
-أين أسأل عنهم؟
-عند إدارة المشفى.
- حسنًا،لم يخطر ببالي.
-اذهب وتعرف على أهلها،المشفى مراقب بالكاميرات وربما تجد صورة آخر من صحبها منهم.
توجه شريف إلى إدارة المشفى ولكنه وجد فتاة هناك تسأل عن طفلة فقدتها بالأمس وتريد ان تبحث عن صورتها في كاميرات المشفى ،وحينما التفتت إليه هذه الفتاة كانت المفاجأة..هل يمكن ان تكون هي ام تشابه؟!

لا..انها هي ببراءتها، رقتها، جمالها .
كيف له ان ينسى حبه الأول؟!
اريج جارته في الإمارات.
شريف بدهشة:
-أريج،بعد هذه السنين الطويلة كيف حالك؟ هل هذه الطفلة قريبتك؟
أريج:
-الحمد لله،روفان ابنتى.
شريف بدهشة:
-ابنتك؟!!
أريج:
-نعم،تزوجت منذ عامين ورزقنا الله روفان وتوفى زوجي في حادث سيارة منذ عام.
-البقاء لله،إنا لله وإنا إليه راجعون.
كيف حال آسر؟
-بخير والحمد لله.
-مازال في الامارات؟
-نعم،محاسب في إحدى شركات والدي.
-هل تعملين؟

-نعم،مهندسة ديكور، شكرًا لك أنك اعتنيت بروفان.
شريف:
-لا شكر على واجب، أين تقيمين في لندن؟
-في أحد الفنادق خلال فترة إقامتي القصيرة هنا.
-هذا رقم هاتفي ، إن احتجتِ إلى أي شيء.اتصلي بي.
-شكرًا لك.
لم يكن شريف ينساها حتى بعد رحيله عن الإمارات وسفره لمصر ثم إلى كندا.
طيفها لم يفارقه ولكنه كان يعلم أن اللقاء مستحيل،كيف تبحث عنه وهو لم يصرح بحبه لها يومًا.

خمسة عشر عامًا لم تذهب خلالها إلى الإسماعيلية مسقط رأس والدتها وموطن عائلتها الكبيرة،العائلة الجميلة التي حضرت حفل زفافها..لم تتخيل يومًا أن تضيق بها الأرض وتترك حياتها بالقاهرة وتأتي إلى بيت أجدادها لتعيش حياة هادئة تستعيد من خلالها توازنها لتمضي في طريقها من جديد،، وصلت إلى

البيت القديم تبدو حديقته منسقة بشكل أنيق وكأن هناك من يعتني بها.
ليلى بصوت مرتفع:
-هل يوجد أحد هنا؟
كرم:
- أنا البواب المسؤول عن رعاية الحديقة وحراسة البيت
ليلى:
-أنا د.ليلى المحمدي ابنة نجوان مروان الشريف
كرم بترحاب:
- حفيدة السيد مروان،أهلًا وسهلًا
ليلى:
-سأقضي عدة أيام هنا في بيت جدي
كرم بود:
-بيتك د.ليلى، سأرسل زوجتي أم ياسر لتنظف لكِ البيت فهو مغلق منذ سنوات ،اطلبي ما شئت وأنا أحضره لكِ،جدك مروان رحمة الله عليه كان رجلًا طيبًا خيّرًا وجميعنا يحبه ويحترمه حتى بعد وفاته.
ليلى بامتنان:

- شكرا جزيلًا عم كرم،بارك الله فيك
وبالفعل جهزت أم ياسر البيت لإقامتها على أفضل مايكون،بيت كلاسيكي فخم أقرب إلى المتاحف القديمة ،شعرت بدفء غريب وهي تقف في مواجهة صورة جميلة جمعت جدها وجدتها وأمها وأخواتها،تعتقد أن عمر أمها وقتها كان خمسة عشر عامًا،تحت الصورة العائلية مكتب جدها العريق،فتحت أحد أدراجه لتجد ألبوم صور ذكريات العائلة..يذكرها بصورها مع زياد،أيام صارت في عداد الذكريات.

كان القدر لطيفا به حينما أخبرته إحدى صديقاتها أن بيت جد ليلى في الإسماعيلية وأن ليلى منذ فترة تتمنى الذهاب إلى هناك.
في صباح اليوم التالي كان في طريقه إلى الإسماعيلية في مهمة حياة أو موت لابد أن يستعيد حب حياته ليلى.
حياته في غيابها كحياة طفل مسكين غابت عنه أمه بكل حنانها وعاطفتها الدافئة واحتوائها.

أخذ يجوب الشوارع والطرقات بحثًا عن عنوان بيت جدها حتى وصل إليه،بيت فخم عريق ملحق به حدائق المانجو والموز ونباتات الريحان وأزهار العنبر وشقائق النعمان،مكان رائع وجو مثالي لقضاء فترة نقاهة بعد رياح عصفت ببيتهم الدافئ
سأل عنها في البيت فأخبروه بوجودها عند أشجار البرتقال،ذهب إلى هناك بحثت عيناه عنها حتى عثر عليها جالسة على كرسي من البامبو تحت شجرة جميلة رأى ظهرها بفستانها الوردى الذي يحبه،اقترب منها بهدوء وأحاطت يداه بعينيها وهمس بحب:

-اشتاق قلبي إلى قلبك.

كادت شفتاها أن تتحرك بالكلمات ولكنه وضع إصبعه على شفتيها هامسًا لعينيها برجاء أن تصمت

زياد:

-أحتاجك في حياتي.

ليلى:

-كلانا يحتاج للراحة وما تبحث عنه ليس هنا.

زياد:

-أريد فنجانًا من الشاي من يديك
-حسنًا.
دخلت إلى المطبخ لتصنع له الشاي وقلبها يرتجف بشدة بينما عقلها شارد في ملكوت الذكريات حتى أعادها صوت زياد إلى دنيا البشر ثانية
زياد:
-ليلى لقد أحرقت يدك
والتقط يدها بحنان ووضعها تحت ماء الصنبور حتى هدأ الألم ثم جففها وطبع عليها قبلة رقيقة ووضع مرهم الحروق ثم غطاه بالشاش.
زياد:
-كيف أنتِ الآن؟
ليلى:
-الحمد لله ، شكرًا لك
زياد:
- امنحي نفسك فرصة لتسمعيني ، لم ولن تكوني ضعيفة أو مستسلمة ، الحب الذي جمعنا يومًا يمكن أن يعيدنا ثانية
قاطعته ليلى:

- إن ظل الحب باقيًا، أنت إنسان عملي تسخر كل شيء في حياتك لإسعادك أنت حتى ولو على حساب الآخر، الحب في حياتك مثل محطات الوقود تتزود منها وقت الحاجة فقط، سئمت أن يكون دوري في حياتك مجرد محطة.

كان كلامها صادمًا هكذا صار بنظر حبيبته إنسان مستغل أناني أكمل فنجان الشاي في صمت وتحاشت هي النظر إليه

استأذن في الانصراف وأومأت ليلى برأسها.

أدار محرك سيارته وسأل نفسه كيف يقود هذه السيارة ويصل بها إلى وجهة محددة ، في الوقت الذي عجز فيه عن قيادة حياته الأسرية ، شعور بالإخفاق يجتاحه، قرر إيقاف السيارة عند أول استراحة على الطريق فلم يعد يجيد السيطرة على عجلة القيادة.

رحل زياد وتركها في حيرة من أمرها لا تدري أين الصواب وأين الخطأ؟

حتى نفسها لا ترغب في مواجهتها

فى قرب زياد لم يهدأ قلبها وحتى في بعده لم تشعر بالراحة ولكن رنين هاتفها أخرجها ولو مؤقتا من دوامة أفكارها وكانت رولا الجميلة هي المتصلة

ميرال :

-أهلًا ليلى الغالية كيف حالك؟

ليلى:

-الحمد لله بخير كيف حالك والدكتور باسل؟

- أنا وباسل بخير الحمد لله هل رأيت زياد ؟

- نعم أتى لرؤيتي في الإسماعيلية و...

قاطعتها ميرال:

- رفضتِ منحه فرصة للتفاهم والحوار ورحل حزينًا وأنتِ الآن في حيرة من أمرك.

ليلى بدهشة:

- كيف عرفتِ؟

ميرال:

-رسائلك الأخيرة لم تكن مطمئنة أبدًا، إن لم أعرف ما تفكر به صديقتي في غيابي فما جدوى هذه الصداقة؟

- أنا متعبة جدًا، أخشى أن أعود إلى زياد تتحسن علاقتنا بعض الوقت ثم نعود كما كنا و أخشى أن أظلمه.

- الصديق مرآة صديقه أليس كذلك؟

-نعم

-أنتِ مشاركة مع زياد فيما أصاب حياتكما

- أنا ؟!

- نعم ..اكتفيتِ بدور الزوجة الحبيبة ونسيتِ الصديقة المشاركة في الاهتمامات..دور عوضه أصدقاء زياد في غيابك..الحب وحده لا يكفي يا ليلى مالم تصاحبه المشاركة ..أتعرفين زوجة أحد أصدقاء باسل هنا في لندن تذهب معه لمشاهدة مباريات كرة القدم وحينما سألتها عن السبب؟ قالت "أحب أن أشاركه اهتماماته، كان يمكنني البقاء بالبيت لإنهاء الأعمال المنزلية ولكن المشاركة أجمل" وتؤكد لي أن زوجها في عيد ميلادها اصطحبها إلى أحد الحفلات الموسيقية بدار الأوبرا على الرغم من أنه لا يفضل الموسيقى الكلاسيكية ولكنه يعلم أنها تهواها.

تمسكي بحياتك ليلى دافعي عنها ..زياد لديه رغبة في الإصلاح ولديك الفرصة لاستغلال هذه الرغبة ..لا تكرري الخطأ ثانية..عليك المحاولة وإعادة تقييم التجربة.

ليلى:

- ماذا أفعل الآن؟

ميرال بحماس:

- تتصلين بزياد وتخبريه بأن لديك أمر عاجل تودين الحديث معه بشأنه.

-كان هنا منذ ساعتين وكنت أرفض الحديث معه وفجأة تغيرت؟

- تغيرتِ للأفضل ، هل لديك مانع؟

ليلى ضاحكة :

-أنا محظوظة بصداقتك.

ميرال بحماس:

-ستكونين أكثر حظًا حينما ننهي حوارنا اللطيف وتسارعين بالاتصال بزياد المسكين قبل أن يصل إلى القاهرة.

أبخرة تتصاعد من كوب شاي ساخن على طاولة خشبية بسيطة ابتسامة ساخرة ارتسمت على شفتيه حينما أدرك الشبه بين أبخرة الشاي وأحلام الحب والأسرة التي تبخرت.. رغبة في الصراخ سيطرت عليه، ود لو يصرخ بكل ألمه في تلك اللحظة ولكن الصراخ ما عاد مجديًا، الماء هو الماء والشاي نفسه ولكن ليلى لها مذاقها ونكهتها في كل شيء، اقترب منه رجل ارتسمت على وجهه خطوط الزمن واستأذن في الجلوس على الكرسي المقابل.

زياد:

- تفضل سيدي

الرجل:

- هل أنت من أهل الإسماعيلية؟

زياد:

- لا ولكني كنت في زيارة إنسان عزيز

الرجل:

- يبدو عليك الإرهاق

- مجرد إرهاق سفر

وأخذا يتحدثان عن الإسماعيلية وجمالها وهدوئها حتى أنهيا الشاي واستأذن بالانصراف ولكن المفاجأة كانت تنتظره، عطب ما أصاب أحد إطارات السيارة ولا يمكن السير بها على هذه الحالة ،عاد إلى الرجل وسأله عن أقرب مكان لتصليح الإطارات وأخبره أنه على بعد بضعة كليومترات و يمكنه الذهاب بسيارته إلى هناك.ولكن الرجل بدأ يشتكي من ألم حاد بصدره وصعوبة في التنفس.

-ما بك سيدي؟

الرجل:

-أشعر أنني على وشك الموت،أنا وحيد يا ولدي،زوجتي متوفاة وأولادى يقيمون خارج البلاد.هل يمكن أن تنقلني لأقرب مشفى؟

لم يكن أمامه حل آخر سوى أن يسرع في نقله إلى أقرب مشفى انقاذا لحياته،وتم حجزه برعاية القلب حتى تستقر حالته،لا يدري كم مر من الوقت حتى أنه لم ينتبه لهاتفه حتى وجده بجيب سترته وكانت تنتظره عدد من المكالمات الفائتة ولكن المفاجأة ثلاث مكالمات من ليلى.

انطلق مسرعًا إلى بيت ليلى وحينما وصل للمنزل كان الظلام يعم المكان إلا من إضاءة بسيطة،سأل كرم عن ليلى واخبره بأنه زوجها ،فعلم منه أن السيدة بالمنزل ولم تخرج،دخل للبيت يبحث عنها لتدله مدبرة المنزل على مكان غرفتها.

طرقات خفيفة على الباب ولا جواب،فتح الباب ليجد الغرفة غارقة في الظلام إلا من ضوء خافت مصدره الشرفة،اقترب من الشرفة ليجد ليلى جالسة في مقعد وظهرها مستند على الحائط وعيناها غائبتان في نوم عميق،الهواء بارد وكيف لا يكون باردًا وهم في ديسمبر،تحسس جبهتها التي تعلوها قطرات العرق ووجدها دافئة للغاية،كيف تنام ليلى في هذا الجو البارد،حمل ليلى المصابة بالحمى إلى سريرها وأغلق الشرفة ودثرها بالأغطية ونزل مسرعًا إلى الصيدلية ليحضر لها الدواء،بدأ وضع الكمادات الباردة حول عنقها ثم أعطاها الأدوية والمحاليل ولكنها في سبات عميق،تستجيب فقط للألم،شعور بالقلق بدأ يتنابه،هل أصابها مكروه أم مجرد حمى نتيجة تعرضها للبرد.

غفا بجوارها قليلًا حتى استيقظ على أذان الفجر،صلى الفجر وقلبه لم يتوقف عن الدعاء لها، وحينما عاد إليها كانت حالتها بدأت تتحسن وما هي إلا لحظات حتى فتحت عينيها وبدأ النور يعود إلى حياته

ليلى بضعف:

-زياد..أنا....

زياد بحنان مقبلًا كفيها:

-ليلى..أنتِ بحاجة للراحة ..لا داعي للكلام الآن

احتضنها وأشار إلى قلبه وهمس بأذنها:

-مكانك هنا..حبك خلق ليسكن هذا القلب..مهما غبت أو ابتعدت سيظل هنا أمانك.

نظرت له باستسلام ونامت في هدوء.

في اليوم التالي عاد إليها بعد أن اطمأن على الرجل في المشفى،كانت لا تزال نائمة وقد تحسنت حالتها كثيرًا

زياد:

-صباح الخير .كيف حالك؟

-صباح النور.الحمد لله،شكرًا على ما فعلت لأجلي

-شكرًا لأنك عدت إلى حياتي

-زياد..أنا....

قاطعها زياد:

-أتذكرين يوم عقد قراننا حين قلت لك:أتمنى أن تبقي بجواري حتى آخر العمر.أتذكرين ردك علي؟

ليلى:

-إن بقيت أنت.

زياد:

- أنا بجوارك الآن ..هل ترغبين أنتِ في البقاء بجواري ؟

-أخاف.

زياد بدهشة:

- تخافين؟!

ليلى بحزن:

- أخاف أن نفشل وتضيع فرصتنا

-لنحاول أولًا بصدق ،بإصرار،بإرادة حقيقية لاستعادة حياتنا

-حسنًا

-يمكنك قضاء عدة أيام هنا حتى تتحسن صحتك وبعدها نعود إلى بيتنا.

الحياة تتأرجح بين فرصة أحسنت استغلالها وفرصة سمحت لها بالهروب من بين يديك.
متى ندرك قيمة ما كان لنا يومًا؟
غالبًا حينما تشعر أنك على وشك فقدانه،أو للأسف فقدته بالفعل
هل يمكن لنبتة جفت أوراقها أن تعود للحياة؟
نعم،إن كانت الجذور حية
زياد الذي لم تعرفه من قبل..زياد المصمم على استعادة نبتة حبهم للحياة من جديد..زياد الذي لا يتوانى عن احتوائها بعطف وحنان..زياد الذي صار يرعاها كطفلته ..زياد حبيبها عاد من جديد
زياد هامسًا:
-حبيبتي تنام كثيرًا هذه الأيام،لا يمكنك النوم بامان إلا بين ذراعي
ليلى بحب:

-زياد حبيبي وكفى
زياد:
-أتعلمين أشعر أن خبرًا جميلًا ينتظرنا
- هل قاربت على إنجاز رسالة الماجيستير؟
-نجاحي في حياتنا أعظم إنجاز
-دمت لي صديقًا وحبيبًا.

إعجاب أم حب أم وهم ؟!
هكذا سألت أريج نفسها،في الماضي كانت تشعر تجاه شريف بمشاعر لكنه لم يصارحها يومًا حتى عندما رحل إلى مصر لم يحرص على بقاء التواصل،اختفى وانقطعت أخباره،،بقى في قلبها أمل أنه ربما يعود يومًا ويصارحها..حتى أنها رفضت مازن عندما تقدم لها في البداية ولكن مازن أقنعها وتمسك بها حتى تزوجته وظنت أنها نسيت شريف،لماذا ظهر شريف ثانية؟!
قلبها يطالبها أن تهاتفه وعقلها ينهاها عن ذلك،ولكن قلبها المتوسل نجح أخيرًا وأمسكت بالهاتف تبحث عن رقمه.

أريج:
-السلام عليكم،دكتور شريف.
-وعليكم السلام.
أريج:
-مهندسة أريج العربي.
-أهلًا بك أريج،كيف حالك أنتِ وروفان؟
-الحمد لله بخير،هل لي أن أطلب مساعدتك؟
-نعم،تفضلي.
-أحتاج إلى عناوين بعض المكاتب الهندسية في لندن.
-نعم،هل يمكن أن ألتقي بك في أحد المقاهي لأعرف منك مزيد من التفاصيل.
-حسنًا،سأرسل لك عنوان أقرب مقهى لفندق إقامتي.
-حددي الموعد المناسب لك.
-بعد ساعتين مناسب؟
-نعم،مناسب.

هل هي رغبة في مساعدتها أم رغبة في الحديث معها؟ربما تكون في رغبة مصارحتها حتى مع قرب

رحيله إلى كندا بعد أن اطمأن على باسل وميرال،ولكنه لقاء لابد منه.
أريج:
-أشكرك على تلبية الدعوة بالحضور.
شريف:
-أنا في خدمتك، هل تعملين في لندن؟
-أتيت إلى هنا منذ فترة وجيزة كي أنهي رسالة الماجيستير في جامعة أكسفورد.
-جيد..وفقك الله، أنا اعمل في كندا وكنت في زيارة للاطمئنان على أختى وزوجها.
-إذن كيف ستساعدني؟
-بعض من أصدقاء أختي في لندن سيتولون الأمر.
-شكرًا جزيلًا لك.
-أريج..أود أن أعترف لك بشيء
-تفضل شريف.
-منذ أن رأيتك أول مرة وعمرك اثنى عشرة سنة وأنا أشعر تجاهك بشعور غريب ازداد بداخلي مع الوقت ولكني لم أستطع حتى مصارحة نفسي بتلك المشاعر ورحلت ولكن بقى شعور بالحنين إليك،

لم أتمكن حتى من البحث عنك مرة أخرى،لا أعلم هل تذكريني أم لا؟ ولكن كيف لي أن ألومك وأنا لم أصرح لك يومًا،ولكن بعد أن رأيتك بصحبة روفان اكتشفت أن مشاعري تجاهك لا تزال حية.

أريج بدهشة:

-وماذا أيضًا؟

-هل تقبلين بي زوجًا؟

أريج بصدمة:

-شريف،هل أنت مدرك ما تقوله؟ من أخبرك أني كنت يومًا أبادلك مشاعر؟!

شريف بانزعاج:

-يبدو أني تسرعت في التعبير عن مشاعري لك. أعتذر اليك،اسمحي لي بالانصراف.

-تفضل.

شعور بالذنب يجتاحها..فليسامحها قلبها على جرحها لشريف بهذه الطريقة ولكن هي الآن وحيدة وبحاجة إلى إنسان يقف بجانبها..إنسان تثق به..إنسان يحبها

ويحميها هي وابنتها..إن كانت تحتاج إلى شريف وقد أرسله القدر إليها،لماذا صدته بهذه الطريقة؟
أتعاند قلبها أم من تعاند؟!

التوقيت هو السر،هناك أشياء يرتبط رونقها بالزمن،وحينما تخطئ الزمان لا تتوقع أن تجد الأشياء برونقها،ربما لو صارحها شريف من قبل لكان رد فعلها مختلف ولكن لاجدوى من هذا الحديث الآن،لذا قرر شريف الاتصال بمكتب الطيران وتحديد موعد للسفر إلى كندا.

بعد أنهت ميرال إعداد العشاء،أعدت المائدة وجلست تطعم باسل بيدها.
باسل بحب:
-هناك شخص أود أن أشكره؟
ميرال:
-من؟!
-من أطلق عليّ الرصاص وأعاد حبيبتي إلى حضني.

-سامحك الله،للأسف التحقيقات لم تسفرعن هويته حتى الآن.
-لا تقلقي،يومًا ما سينال جزاءه، أين شريف؟
ميرال:
-لم يخبرني،ربما يقابل أحد زملاؤه.
باسل غامزًا:
-هل نسيتي موعد الغيار على الجرح؟
ميرال ضاحكة:
-لم أنسَ ،انتظر حتى يأتي شريف ويغيرلك على الجرح.
-خبرتك الجراحية أعلى من شريف.
ميرال ضاحكة:
-بالنسبة للخبرة الجراحية،صديقك عمار أفضل مني،أطلبه لك؟
قام باسل من مقعده واحتضن ميرال و همس بأذنها قائلًا:
-سأتخلص من هذا الهاتف قريبًا حتى لايزعجنا شيء.
ولكن جرس الباب بدأ بالرنين

ميرال ضاحكة:
-في المرة القادمة لاتنسَ جرس الباب أيضًا.
فتح باسل باب الشقة ليجد شريف أمامه:
-أهلًا شريف،كيف حالك؟
شريف بإجهاد:
-بخير والحمد لله.
ميرال بقلق:
-لا يمكن أن تكون بخير وأنت على هذه الحالة،ألم تنظر في المرآة؟!
باسل:
-تكلم ياشريف،ماذا بك؟
شريف:
-أنا مجهد وأحتاج للراحة قبل السفرلكندا.
ميرال بضيق:
-كيف حددت موعد السفر ولم تخبرنا؟
شريف:
-رولا،أنا مرتبط بعمل في كندا.
باسل:
-نعلم ،عزيزي ولكننا سنفتقد وجودك.

شريف:
-الحمد لله أنكما بخير.
تركهما ودخل إلى غرفته،هو لايريد النوم في حد ذاته ولكنه يريد أن يهرب من تفاصيل هذا العالم وأحداثه وذكرياته.
لم تتمكن أريج من النوم ظلت تتقلب في فراشها لساعات،حتى قررت ان تعتذر إلى شريف،ربما يخفف من احساسها بالذنب،فتحت هاتفتها وكتبت رسالة إليه

(دكتور شريف..أعتذر إليك عن أسلوبي الجاف معك..لم أقصد أن أضايقك..أكرر اعتذاري إليك)
أريج

الفصل العاشر
حقيقة مؤلمة

كم من مؤَّملِ شيءٍ ليسَ يُدْرِكه
والمرءُ يزري بهِ في دهرهِ الأملُ
يرجُو الثراءَ ويرجُو الخلدَ مجتهداً
ودونَ ما يرتجي الأقدارُ والأجلُ

على ضفاف نيل القاهرة وعلى متن أحد أفخر الفنادق النيلية كانت نشوى بكامل أناقاتها وجمالها في انتظار صفقة العمر على حد تصورها في استقبال معتز الأنصاري العدو اللدود لنبيل الألفي وأولاده باسل وخالد زوجها

معتز :

-مرحبًا نشوى هانم تشرفت بزيارتك

نشوى:

-شكرًا لك مهندس معتز، فيما طلبتني؟

معتز:

-نشوى سيف الدين ابنة المحامي الشهير سيف الدين عباس ، خريجة إدارة أعمال ، زوجة خالد الألفي وأم أبنائه، صاحبة جمال وذكاء لا يستهان به

-هل كنت تجمع المعلومات عني سيد معتز.

-دعوتك إلى صفقة العمر كما ورد في رسالتي ألا ينبغي أن أعرف مدى كفائتك لأطلب منك هذا

-تكلم في التفاصيل إذا سمحت

-شركة الألفي للانشاءات ستعلن عن شروطها للشركات المساهمة معها في مشروع القرى

السياحية بالساحل الشمالي وأريد معلومات عن العطاءات الأخرى للشركات التي تريد المساهمة

نشوى:

-لماذا؟

-لأتقدم بالعرض الأفضل وأفوز بمشاركة شركات الألفي

نشوى :

-وأين صفقة العمر بالنسبة لي؟

معتز:

-ربع مليون جنيه نصيبك على دفعتين جزء بعد الحصول على المعلومات وجزء بعد المشاركة الفعلية بالإضافة إلى نسبة في إدارة أحد فنادقنا بالقرى السياحية بشرط.

نشوى:

- أي شرط ؟

- أن يستمر التعاون في صفقات قادمة

- امنحني فرصة للتفكير

- عروض معتز الأنصاري فرص لا تكرر إلا مرة واحدة

نشوى:

- موافقة ، بعد أسبوع تحصل على المعلومات

-لا داعي لعلم خالد بعملك معنا

نشوى:

- لماذا؟

معتز:

- خالد ربما يخشى عليكِ من العمل ومشكلاته وصعوباته ولكن مثلك لا يخشى عليها الصعاب.

- ومثل هذه الوثائق توجد في مكتب خالد.

- أو منزله ، لهذا اخترتك.

نشوى:

- حسنًا امنحني أسبوع.

-كما تريدين.

وغادرتهما نشوى إلى مهمتها

مساعد معتز:

-هل أنت واثق أنها ستؤدي المهمة بنجاح؟

معتز بثقة:

- المقربون من خالد يؤكدون أنه يحب زوجته بجنون وهي تجيد السيطرة عليه وتعتبر مستودع

أسراره، ثقته بها لا حدود لها ولكن نشوى من الشخصيات التي تحركها المصالح والأموال لاتنسى أنها ابنة سيف عباس بعوضة النقود كما كانوا يطلقون عليه في شبابه.

مساعد معتز:

-ولكن هل تظنها تبيع زوجها وأبو أبنائها؟

معتز:

-في هذه المهمة هي لا تخونه صراحة ولكن حينما نتمكن منها ستنفذ ما نريد.

طرقت ميرال باب غرفة شريف لتوقظه ولكنه لم يرد عليها، فتحت الباب ولكنها وجدته في نوم عميق

ميرال تحركه بفزع:

-شريف..استيقظ. أجبني.

ولكن لا جواب

صرخت ميرال:

-بااااااااااااسل.

توجه باسل مسرعا إلى ميرال

باسل:

-ما بك؟ لماذا تصرخين؟

ميرال بدموع:
-شريف لم يستيقظ ولا يتحرك.
تفحص باسل نبض الشريان السباتي والتنفس.
-اتصلي بالإسعاف فورًا.
نقل شريف للمشفى وتم إجراء بعض الفحوصات وتعليق بعض المحاليل.
ميرال:
-أرجوك باسل، طمئني على شريف.
-ضعف النبض والتنفس بسبب تناول المنومات.
ميرال بصدمة:
-منومات**!!**
باسل بضيق:
-هل شريف معتاد على تناول المنومات؟**!**
ميرال باستنكار:
-لا، ربما تناولها لشعوره بالأرق.
باسل:
-سيفيق بعد قليل ونطمئن عليه.
بعد قرابة الأربع ساعات من نقله للمشفى، بدأ شريف في استعادة وعيه

ميرال:
-حمدًا لله على سلامتك.
شريف:
-سلمك الله رولا.
باسل:
-ماذا حدث بالأمس ياشريف؟
-كنت أعانى من أرق شديد وتناولت عدة أقراص من المنومات حتى أتمكن من النوم بهدوء.
ميرال:
-ولكن يبدو أن الجرعة كانت كبيرة واستمر مفعول الدواء مدة طويلة وأضعف النبض والتنفس.
باسل:
-ولكن رحمة الله واسعة، الحمد لله على نجاتك.
شريف:
-الحمد لله، كم الساعة الآن؟
ميرال بتساؤل:
-الساعة الثانية ظهرًا،ولكن لماذا؟
شريف:
-أريد إنهاء بعض الإجراءات قبل السفر ل كندا غدًا.

باسل بدهشة:

-غدًا!!

شريف:

-نعم، حجزت رحلة الطيران بالأمس، لا تقلقوا أنا بخير.

ميرال بحسم:

-المهم ألا تقرب المنومات ثانية.

شريف بشرود:

-لا يوجد ما يدعو للأرق بعد اليوم.

باسل بمكر:

-وما الذي دعى للأرق بالأمس؟!

شريف:

-ألم تجرب الأرق سابقًا؟!

باسل بشرود:

-للأرق مصادر،،ربما القلب وربما العقل، من أيهما تشتكي يا صديق؟؟

ميرال بدهشة:

-ماشاء الله زوجي أصبح طبيب نفسي مؤخرًا وأخي حكيم قلوب ويتحدثان بالألغاز.

شريف:
-لا تقلقى لن نخفي عليك أمر خطير.
ميرال بدهشة:
-وهل تقدر على إخفاء أمر عني، باسل؟!
باسل بتحدي:
-الأمر يتوقف على قدرتك على قراءة أفكاري.
ميرال:
-وهل تشكك في قدراتي؟!
باسل:
-أنا لا أشكك، أنا أتحدى فقط.
ميرال بتساؤل:
-وهل نتحدى من نحب؟!
باسل مؤكدًا:
-نحن لا نتحدى إلا من نحب.
نتحداهم أن يفهمونا حتى في صمتنا، أن يبقوا إلى جانبنا حتى عندما نبتعد، أن يسامحونا ويلتمسوا لنا الأعذار، فإن بقوا رغم التحديات، ثقي لم يبقهم إلا حبهم لنا.
شريف ضاحكًا:

-زوجك فيلسوف رولا، لنكمل الحوار الرائع في البيت.

حينما وصلوا إلى البيت ، التقط شريف هاتفه وتفاجأ برسالة أريج، ولكنه شعر بالحيرة، قلبه يسأله:

-لماذا أرسلتها؟ ربما تكون كاذبة فيما نطقت.

ويجيبه العقل:

-ربما مجرد اعتذار.

ولكنه قرر الإتصال بها من قبيل الأدب والذوق.

شريف:

-السلام عليكم مهندسة أريج.

-وعليكم السلام.

-كيف حالك أنتِ وروفان؟

-الحمد لله بخير.أعتذر لك عن أسلوبي السابق معك.

-لم أغضب منك،هل هناك خدمة أقدمها لك؟

سكتت أريج...

-مدام أريج هل تسمعينى؟

-نعم دكتور شريف.

-تفضلي ولا تترددي ، تحت أمرك.

-أنا....

-هل تقبلين دعوتي على العشاء الليلة؟

-حسنًا.

-سأرسل إليك عنوان الفندق.

-شكرًا لك.

أغلقت الهاتف وأخذت تلوم نفسها على ارتباكها وقبولها لدعوة العشاء، ما كان ينبغي أن تقبلها ولكن شريف إنسان طيب تعرفه جيدًا كيف لها أن ترفض طلبه للزواج وخاصة بعد تمسكها بالدراسة في لندن مع روفان وحدهما .

وقف شريف يعدل رابطة عنقه أمام المرآة ويضع عطره وهو يدندن:

في هويد الليل ولقيتك
ما أعرف جيتني ولا جيتك
ما أعرف غير إني لقيت روحي
ونجيت من همي ونجيتك

***

وأداري واللا ما أداري
دا هواها داري وما داري

قاطعه باسل ضاحكًا:

-ما شاء الله، أهذا ما سبب لك الأرق بالأمس؟!

شريف:

-أما زلت في البيت؟

باسل:

-لازلت مريض وفى حاجة للراحة ولكن رولا خرجت تشتري أشياء للمنزل.

شريف:

-شفاك الله، دعني أخرج الآن.

باسل مشاكسًا:

-اصحبني معك، لا أحب الجلوس في البيت وحيدًا.

شريف ضاحكًا:

-يبدو أن الحادث لم يؤثر على ظهرك فقط بل وعلى المخ أيضًا.

باسل غامزًا:

-سأسمح لك بالخروج ولن أخبر رولا عن مكان ذهابك بشرط.

شريف بدهشة:

-شرط؟!

باسل:

-حينما تعود من موعدك تخبرني بالتفاصيل.

شريف :

-موافق.

في الموعد المتفق عليه كانت تنتظره اريج وبصحبتها روفان.

شريف بابتسامة:

-سعيد بحضورك.

-شكرًا لك على الدعوة الكريمة.

-صوتك في الهاتف كان متردد،يبدو أن لديك ما تودين قوله.

أتذكرين منذ زمن كانت الكلمات تظهر في عينيك وتتوقف عند شفتيك وتأبى الانطلاق إلا لمن يلتقطها ولم أكن أخطئها وقتها و لا حتى الآن.

أريج بتوتر:

-شريف....أنا..

شريف بحسم:

-لا وقت للتردد
أنا مسافر غدًا إلى كندا لاستكمال منحة الدراسة هناك! كنت في لندن في زيارة لأختي وزوجها.
قلبي يخبرني أنك كنت تبادلين حبي بحب مثله وعلى الرغم من كونه حب صامت إلا أني كنت أشعره ، لم أصرح به لك يومًا لأني لم أكن أعلم هل يمكنني الوفاء به أم لا، ربما كنت مخطئا حينما رحلت ولم أبقَ على تواصل بيننا، لم أرد لك الانتظار، قلت ربما تجد من هو أفضل مني وحياته أكثر استقرارًا من حياتي يسعدها ويحافظ عليها ولكني لم أنساكِ يومًا، بمجرد أن رأيتك صارحتك بحقيقة مشاعري تجاهك، ربما رسالة الاعتذار رغبة منك في استعادة الماضي الذي لازلت أرى بقاياه بعينيك.
-بعد وفاة والد روفان قررت استكمال دراستي في لندن، روفان والعمل هما الحياة بعد رحيل مازن.
حينما التقيتك في المشفى، شعرت باضطراب غريب، أنا أحترم مشاعرك ولكن امنحني بعض الوقت كي أفكر في الأمر.

-لك ما أردت، هذا هو البريد الالكتروني الخاص بي يمكنك التواصل معي إن شئت.
-شكرًا لك.
ودعها شريف وانصرف وبداخله دوامة من المشاعر.. الحزن..الضيق..حنين للماضي..ملل من الوحدة
هل يندم لأنه صارحها بمشاعره دون تردد بينما ترددت هي وطلبت وقت للتفكير؟
هل هناك ما يقلقها بشأنه؟
أسئلة ظلت تتوالى على ذهن شريف حتى وصل إلى متجر بالقرب من شقة أخته، قرر شراء بعض لوازم السفر.
جلس باسل وحده في هدوء يتأمل حياته كيف غيرت الحادثة حياته مع ميرال، كيف حرمته أفكاره السلبية من الاستمتاع بحياته، كيف وقف الخوف حائلًا بينه وبين الحياة، التقط ورقة وخط عليها بعض الكلمات ولكنه تركها فجأة عندما رن جرس الباب.
دخلت ميرال إلى المطبخ لتعد طعام العشاء في شرود

باسل:
-ماذا يشغل قلب حبيبتي ؟
ميرال:
-شريف لا يبدو بخير.
باسل ضاحكًا:
chercher la femme-
ميرال بدهشة:
-فتاة في حياة شريف!! متى عرفها وأين؟
باسل:
-هل لديك توقع آخر؟
ميرال:
-لا.
عندها رن جرس الباب
-افتح الباب ،باسل.
-حاضر.
-مرحبا شريف، كيف حالك؟
-الحمد لله بخير.
بدأت ميرال ووضعت الطعام على المائدة وتجمعوا لتناول العشاء

ميرال بقلق:
-تأخرت كثيرًا شريف.
شريف بارهاق:
-كنت أشتري بعض الطلبات قبل سفري لكندا غدًا.
باسل بمكر:
-تشتري بعض الطلبات فقط؟؟
شريف:
-أنا مجهد وأحتاج للراحة باسل.
ميرال بهدوء:
-نريد الاطمئنان عليك.
شريف:
-أنا بخير.
وانتهى من طعامه ودخل يرتاح بغرفته.
باسل بقلق:
-يبدو أنه يشعر بالضيق.
ميرال باستسلام:
-علينا احترام صمته.
بعد حوالي الساعة طرقت ميرال طرقات خفيفة على باب غرفة شريف

-تفضلي رولا.
-أعلم أنك لن تنام مبكرًا.
شريف بحنان:
-أعلم أنك لن تنامين قبل أن تطمئني عليّ وانتظرت قدومك.
-تكلم حبيبي أخبرني ما بك؟
-رولا،ادعي الله أن يمنح قلبي السلام.
-أهذا هو كل شيء؟!
شريف مبتسمًا:
-وماذا للقلب أن يطلب بعد أن يمنحه الله السلام؟
قبلت ميرال جبهته:
-اللهم امنح قلبه وآنس وحدته واحفظه في غربته.

أسبوعان مرا على آخر اتصال من بدر، وخلال هذه الفترة لم يهاتفها ولو لمرة واحدة، هل غادر لندن؟ هل هو مريض؟ هل لديه مهام تشغله هذه الفترة؟ أسئلة كثيرة تدور في ذهنها..قلبها يتوسل إليها أن تتصل به وتطمئن عليه، وعقلها ينهاها ويطالبها بالنسيان

ميرال:
-لورين، إلى متى ستبقين شاردة؟
لورين:
- لست شاردة، أنا منتبهة لعملي
ميرال بمكر:
-نعم، والدليل على انتباهك عدد ملفات المرضى التي أنجزتها منذ ساعتين، ملفين فقط.
لورين:
-لا بأس، سأنجز الباقي حالًا
ميرال:
-كفاكِ هروبًا بدر يحبك وأنت تحبيه عودي إليه قبل فوات الأوان
لورين بضيق:
-هل بدر مريض؟
ميرال:
-كلاكما مريض بحب صاحبه.
لورين:
-ماذا تقصدين؟

-الحب يموت انتحارًا وكل منا ينهاه كبرياءه عن المبادرة
-هل تعرفين عنوان بدر في لندن؟
-نعم، بحثت عنه..ظننت أنك ربما تحتاجين إليه.
توجهت إلى العنوان الذي أعطته لها ميرال ولكن بدر كان قد غادر بالأمس إلى تونس.
هل تنتهي حكايتهما برحيله إلى تونس وبقائها في لندن، أم للحكاية بقية؟
هل تتمسك لورين بالحب أم يغلبها الكبرياء؟
هل تخلى بدر عن حبها أم ربما يعود يوما؟

امرأة مثلها تجيد توظيف كل ما وصلت إليه، منذ أن استحوذت على قلب خالد وهي تتقن توجيهه لتنفيذ طلباتها، تتخذ من الحب أداة للوصول إلى المال والسلطة، خالد الذي كتب لها نصف أسهمه في شركات أبيه ومنحها مقعدًا في مجلس إدارة الشركة برغم من عدم خبرتها في مجال الهندسة والانشاءات، لم يستطع خالد يومًا أن يرفض طلبًا لها

حتى مع اعتراضه عليه، حتى صار حبه لها يعذبه بدلًا من أن يسعد قلبه.
لم يكن ما طلبه منها معتز الأنصاري صعبًا عليها، بمنتهى السهولة وصلت إلى الأوراق في مكتب خالد وفي خزينة بيتهم وسلمت المعلومات لمعتز وقبضت الثمن
وظننت أن الامر مر بسلام ولم ينتبه خالد للأمر ولكن ما كان ينتظرها كان أخطر مما تصورت بكثير
بدأ معتز يبتزها بتسجيل اللقاء الأخير الذي جمعهما في مقابل أن تحضر له الأوراق الرسمية لأحد أهم الصفقات في شركة خالد، ولم يكن لديها خيار سوى تنفيذ ما طلبه معتزخاصة مع سفر خالد إلى السعودية في نفس الوقت.

مع قرب موسم الإجازات الرسمية في المشفى في لندن،غلب باسل الشوق لأهله في القاهرة وفكر في زيارتهم مع ميرال خاصة أنهم منذ زواجهما لم يتعرفوا عليها عن قرب، حتى مع الإصابة التي

تعرض لها في لندن لم يخبر أهله حتى لا يقلقهم ويثير مخاوفهم

باسل بحنين:

-اشتقت إلى زيارة مصر

ميرال:

-وأنا أيضًا

-ما رأيك أن نقضي إجازتنا في القاهرة؟

ميرال بشرود:

-القاهرة ..الأهل..الأصدقاء..أيامنا الحلوة..ضحكاتنا البريئة

باسل بحب:

-أتمنى أن أنال ولو جزء من أيامك الحلوة

ميرال ضاحكة:

-أنت أحلى ما في أيامي.

انطلقت الطائرة من مطار هيثرو في لندن إلى القاهرة، في رحلة هي الأولى - لباسل وميرال –الى ارض الوطن بعد رحيلهم عنها

باسل:

-تذكرين اول مرة رأيتك في القاهرة.
ميرال:
-في درس د.امجد.
باسل ضاحكا:
-كنت مشاغبة ومشاكسة.
ميرال بدهشة:
-تغير مكان حقيبتى وتتهمنى بالمشاغبة.
باسل بمكر:
-ماذا لو كنت ارغب بمحادثتك وافتعل أي شيء لأكلمك؟
ميرال بضيق:
-وربما فعلت ذلك مع الاخريات.
باسل بهدوء:
-وهل يضايقك ذلك؟!
ميرال ببرود:
-وقتها لا.
باسل غامزا:
-والآن.
ميرال بهدوء:

-ماذا تقصد؟
باسل:
-هل تغارين على؟
ميرال:
-هل تغار أنت؟
باسل ضاحكا:
-بعد رحلة كينيا،حينما رأيت شريف يجالسك في مطعم المشفى،قررت خطبتك.
ميرال بدهشة:
-تغار من شريف.
باسل:
-لم اكن اعلم انه اخاك،ألم يخبرك بما فعلته معه عندما التقيته اول مرة وسألنى عنك؟
ميرال بتعجب:
-اثنى على اخلاقك وقال انك شاب جيد وتحمل لى مشاعر طيبة.
باسل ضاحكا:
-الحمد لله،كدت اضربه يومها حينما سألنى عنك.
ميرال بدلال:

-اذن تغار.
طبع قبلة رقيقة على كفها وهمس قائلا:
-لن اجيبك بلسانى فقط انصتى إلى قلبى.
نظرت إليه ميرال بحب واسندت رأسها على كتفه واستسلمت للنوم.
وصلا إلى القاهرة وتوجها إلى بيت عائلة باسل،استقبلهم ام باسل بحب وترحاب.
ام باسل وهي تحتضنه بقوة:
-حبيبى باسل،اشتقت اليك يا نور عينى.
باسل بحب:
-حفظك الله أمي واطال عمرك.
ام باسل بلوم:
-لماذا لم تخبرنا بمعاد وصولك؟
باسل:
-أحببت ان تكون مفاجأة.
ام باسل بسعادة:
-اجمل مفاجأة.
باسل:
-ميرال زوجتى.

ام باسل وهي تقبل ميرال:

-سعيدة برؤيتك حبيبتى،كيف حالك وحال والديك؟

ميرال:

-الحمد لله،الجميع بخير.

ام باسل:

-تفضلا استريحا من عناء السفر حتى نجهز غرفتكما ونعد الطعام.

باسل:

-اشتقت كثيرا لغرفتى.

ام باسل:

-حسنا.

توجهت ام باسل إلى غرفته تجهزها بصحبة مدبرة المنزل

ميرال بدهشة:

-غرفتك التي كنت تقيم بها في شبابك.

باسل غامزا:

-ولا زلت شباب.

ميرال:

-كيف لى ان ادخل غرفة شاب اعزب!!

باسل ضاحكا:
-ولقد تزوج هذا الشاب وأنت هنا الآن لانك زوجته.
ميرال ضاحكة:
-ربما نسيت.
باسل:
-يمكننى ان اذكرك.
احمرت وجنتاها في خجل وقامت تتمشى في البيت حتى خرجت إلى الحديقة.

انهى خالد اجتماعه مع شريكهم السعودى وجلس يتناول الغداء وحده وعقله لم يكف عن التفكير في نشوى وتصرفاتها في الفترة الأخيرة التي اثارت شكوكه بها حتى كانت المفاجاة حينما شاهدها وهويفرغ كاميرات المراقبة تفتش في مكتبه وفى نفس اليوم فتحت خزانته في البيت وقامت بتصوير بعض المستندات،في البداية لم يفهم لماذا تلك المستندات بالذات؟ وهل كانت تبحث عن أشياء أخرى؟ولكن شكوكه تأكدت عندما اخبره أحد مساعديه انه شاهدها بصحبة معتز الانصارى قبل

أيام من المناقصة التي فازت بها شركة معتز ،تردد
كثيرا ان يكون هناك صلة بين معتز ونشوى ولكنه
قبل سفره إلى السعودية نقل بعض الأوراق الهامة
التي تخص التعامل مع شركة معتز وشركات أخرى
إلى خزانة البيت وقام بربط كاميرات المراقبة
بالانترنت ليتمكن من تفريغ محتوياتها وهو خارج
البيت ولكن المفاجأة هذه المرة كانت صادمة ،فتحت
نشوى الخزانة في غيابه وصورت هذه المستندات
ولكن ما قطع الشك بداخله هو اتصالها بمعتز من
بيتها وابلاغه بالاوارق التي صورتها وهل كافية ام
يحتاج للمزيد حتى تحافظ على نسبة عمولتها من
صفقة بيع اسرار شركة زوجها واستغلال غيابه.
لم يستطع التحمل اكثر من ذلك،تردد كثيرا ولكنه
قرر المواجهة والانتقام من الخائنة.

بينما نشوى تجهز للقاء معتز لتسليمه الأوراق
مستغلة غياب خالد عن البيت هذه الفترة، إذا بها تجد
خالد يقتحم باب المكتب وعيناه مشتعلتان غضبًا

نشوى بفزع:
-خالد، ألم تخبرني بأن رحلتك ستستمر لمدة عشر أيام
خالد بغضب:
-قررت إنهائها
نشوى بضيق
:لماذا؟
خالد قابضًا على معصمها بقوة:
-يهمك أن تعرفي؟
نشوى بألم:
-ماذا بك ؟
خالد موجهًا مسدسه إلى صدرها:
-حركة واحدة أو مجرد صرخة كافية لإنهاء حياتك، استمعي إليّ أولًا
نشوى برعب:
-أسمعك ولكن أبعد السلاح.
خالد بغضب:
-يومًا ما أحببتك بقلبي وعقلي وجوارحي ، فضلتك على نفسي نفذت رغباتك ولو تعارضت معي لأجل

أن أرى السعادة بعينيك، ضحيت براحتي لتتمتعي بالراحة، صبرت على طمعك وأنانيتك وأخذت أختلق للكِ الأعذار لتستمر حياتنا البائسة، إلى أن اكتشفت خيانتك...

قاطعته نشوى:

-خالد أنا...

خالد بحدة:

-اخرسي.

بعد الأزمة الأخيرة التي تعرضت لها شركاتنا قمت بتركيب كاميرات مراقبة في مقر شركاتنا في أماكن متفرقة ودون علم أحد بذلك ونقلت الكثيرمن المستندات الهامة من مكتب الشركة إلى خزينة البيت وهنا كاميرا مراقبة في حجرة المكتب ،تم تركيبها في غيابك مع الأولاد عن البيت،والباقى أنتِ تعلمينه جيدًا.

نشوى بألم:

-خالد أنا حبيبتك وزوجتك و أم أولادك.

خالد بعنف:

-لا مكان لخائنة حقيرة في حياتي.

وهم خالد بإطلاق الرصاص عليها، أصابعه مرتعشة على الزناد وإعصار من الذكريات يعصف بقلبه ولكن صوت باسل الصارخ باسمه أفاقه من شروده:

-خالد..خالد..لا تقتلها.

سقط المسدس من يده أرضا وجلس خالد على ركبتيه يلتقط أنفاسه بصعوبة ورأسه على صدر باسل

خالد بدموع:

-لماذا أتيت يا باسل؟ وكيف دخلت؟

باسل بألم:

-أخبرني والدي بأنك قطعت إجازتك فجأة وعدت مسرعًا إلى بيتك وحالك ينبىء بكارثة، طلب مني والدي أن أذهب إليك لأطمئن عليك وأعطاني نسخة من مفتاح بيتك الذي يحتفظ به للطوارئ.

خالد بضيق:

-أين ذهبت نشوى؟

باسل بإشفاق:

-في غرفتها، اهدأ واستغفر الله وفكر بعقلك.

الد بغضب:

- أي عقل أفكر به..إنسانة استغلت حب زوجها لتخونه وتسلمه لأعدائه..انسانة تضحي ببيتها وأولادها لأجل جمع المال.

باسل:

-فكر في أولادك..نشوى أمهم وهم في حاجة إليها وإلى وجودك أيضًا.

خالد بإصرار:

-سأطلقها وأنهي حياة من العذاب والمعاناة.

باسل:

-حبك لها قد يكون دافعًا لتتغير للأفضل.

خالد بحزن:

-الحب لا يغير أحدًا، بذور التغيير موجودة في أعماق كل منا، هي فقط تحتاج ظروف مناسبة لتنمو وتنبت ثمارها..الحب قد يكون ظرفًا مثاليًا لتنمو البذور الصالحة إن وجدت.

خرجت نشوى من غرفتها لتقف في مواجهته أمام أعين باسل.

نشوى بتوسل:

-أرجوك خالد، امنحني فرصة أخيرة.

خالد بحزم:
-انتهى وقت الفرص،،و صار العتاب بلا معنى..
أنت طالق..طالق..طالق.
غادري بيتي الآن..لا شيء بقى لك هنا.
شعرت وكأنه أطلق عليها الرصاص بالفعل..خالد المحب الرقيق الحنون بهذه القسوة والجبروت،اندفعت مسرعة تغادر المكان الذي شهد القضاء عليها وعلى حبها وكرامتها ، بملابس البيت بلا حقائب بلا أمتعة ولاتدري إلى أي وجهة تذهب، المهم أن تهرب من الكابوس الذي وقعت فيه ولكن صوت إنذار السيارة لم يكن كافيًا لينبهها لينتهي الكابوس وتنتهي معه الحياة تحت عجلات السيارة المسرعة.
خالد بضيق:
-هناك جلبة في الشارع ، يبدو أن سيارة صدمت شخصًا ، لننظر من الشرفة.
باسل بفزع:
-انظر إنها سيدة...إنها نشوى.

الفصل الحادى عشر
رغم الألم

"المتشائم يشتكي من الريح ، والمتفائل يأمل في توقفها ، والواقعي يعدل الأشرعة."

ويليام آرثر وارد

حالة من الصمت والالم سيطرت على الجميع عقب اعلان الأطباء وفاة نشوى فور وصولها إلى المشفى.
نبيل :
-من كان يتوقع ان تكون تلك النهاية،ليتك سامحتها يا خالد.
باسل بحزن:
-رجوته كثيرا،ابى ولكنها إرادة الله.
نبيل:
-انا لله وانا إليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله.
باسل:
-ربنا يرحمها ويسامحها ويصبر خالد.

أسبوعين بعد الحادثة وخالد معتزل الناس والحياة حبيسا لغرفته لا يغادرها الا قليلا
باسل:
- امى،كيف حال خالد؟
ام باسل:

-حاول ان تخرجه من عزلته بعد ان رفض العودة إلى بيت العائلة وتمسك بالبقاء في شقته.

باسل:

-وماذا عن طفليه؟

ام باسل:

-ارسلتهما إلى خالتك في الإسكندرية بعيدا عن جو الحزن الذي نعيشه.

باسل:

-حسنا ما فعلت.

دخل باسل إلى غرفة خالد وجده يتطلع إلى سقف الغرفة في شرود.

باسل:

-ارجوك، خالد،تكلم..عبر عن حزنك..المك..صدمتك.

الحياة ستمضى..الحزن محطة..الشعور بالذنب محطة..الندم محطة.

خالد بألم:

- لست أدري أحزن عليها أم على نفسى.

أبكى فقدها..أم ابكى خيانتها.

تعذبت بحبها ولكني تحملته لتبقى إلى جوارى..فقدها يقتلنى.
لماذا اخترت من خذلت ثقتى بها؟
لماذا اخترت من باعت حبى لها بالمال؟
لماذا اسأت الاختيار؟
باسل:
-سامحها ..سامح نفسك..امنح نفسك بداية جديدة لك ولأولادك.
نفسك احوج ما يكون إلى هذا التسامح والعفو.
ادعو الله ان يرحمها ويرحمك ويعينك على تربية الأولاد.
خالد:
-يارب.
باسل مربتا على كتفه:
-لن اغادر القاهرة حتى تتحسن حالتك وتعود إلى عملك وتستكمل حياتك.
خالد بحزن:
-أنت عطلت نفسك وزوجتك،اجازاتك التي كان يفترض ان تستمتع بها، قضيتها وسط المأساة.

باسل بصبر:

-الحمد لله على كل حال.

عاد باسل لمنزل والديه بعد ان اطمأن على خالد ليجد ميرال جالسة في حجرتها في يدها ورقة تطالعها باهتمام

باسل:

-مساء الخيرات،تبدو هذه الورقة مهمة

ميرال:

-انظر،أليس هذا خطك.

نظر باسل إلى الورقة وتذكر انه كتبتها في احدى الليالى في لندن بعد الحادث

اعتذار واجب

اعتذر إلى نفسى عن كل خطأ ارتكبته في حقها

اعتذر إلى نفسى عن كل قرار سبب لها الألم يوما

اعتذر إليها عن اغفالى احتياجاتها

اعتذر عن كل اختيار غير مدروس بعناية
اعتذر لها عن كل هروب اذاها
اعتذر لها انى اكثر من أساء إليها

ميرال وهي تدقق النظر في عينيه:
-هل لازلت تشعر بالذنب؟
باسل وهو يتهرب من عينيها:
-تجاه نفسى وتجاهك.
طوقت ميرال رقبته بذراعيها وهي تهمس:
-أما نفسك فقد قبلت اعتذارك وسامحتك ولكن ماذا تقدم ل رولا؟
باسل:
-بدلى ثيابك وسنخرج بعد قليل.
ميرال بفرح:
-حسنا.
امام أحد الفنادق على المطلة على نيل القاهرة أوقف باسل السيارة
ميرال بشغف:
-هل وصلنا؟

باسل بسعادة :

-نعم.

جلس باسل يتطلع إلى ميرال في صمت

ميرال:

-كأنك ترانى لأول مرة.

باسل ضاحكا:

-رأيتك في اول لقاء في ريجنت بارك،وفى ليلة زفافنا وليلة الحادث والليلة يا حبيبتى.

ميرال بابتسامة:

-بعد ستة اشهر من زواجنا،تخبرنى أنك رأيتنى في تلك المواقف فقط**!!**

باسل:

-عيناك في تلك المواقف كانت مختلفة،فيها بريق احبه.

ميرال بحب:

-لن اعترف انى اعجبت بشهامتك في كينيا وانقاذك للعامل.

باسل بمكر:

-لن تعترفى بماذا أيضا؟

ميرال بمراوغة:
-هذا يكفى.
باسل:
-أتعلمين رولا،يوما ما كنت وحيدا حزينا ظننت ان الحياة اخذت من احببتهم ولكني ادركت مع مرور الزمن انها اخذت هولاء لتمنحنى الاجمل،عمار المخلص،شريف المساند واليوم أنتِ.
ميرال ضاحكة:
-احبك وأنت فيلسوف.
باسل بحب:
-أتذكرين حتى قلت لى لا تقلها يا باسل دعنى اشعر بها واراها.
ميرال:
-نعم.
باسل مقبلا يديها:
-وهل شعرت بها؟
امعنت ميرال النظر في عينيه لحظات وهمت ان تنطق ولكنه وضع اصبعه على شفتيها:
-اشعر معك بالأمان،أليس هذا ما أردت قوله؟

ميرال بتعجب:
-كيف عرفت؟
باسل بحب:
-عيناك حبيبتاى لا تخفيان عنى شيئا.
ميرال ضاحكة:
-أنت طيب للغاية الليلة.
باسل بدهشة:
-وهل كنت شريرا من قبل.
تركته ميرال وقامت تتمشى بمحاذاة السور المطل على النيل وتبعها باسل في قلق.
-رولا،هل اغضبتك في شيء؟
-ابدا،كنت افكر لماذا يتعامل الناس بقسوة أحيانا؟ كيف يمكن للمرء ان يؤذى انسانا او يجرحه او يكون سببا في المه ودموعه؟
باسل بصدمة:
-هل آذيتك إلى هذا الحد؟
ميرال:
-ليس أنت ولكني أتكلم بشكل عام.
باسل بهدوء:

-كلما اقتربت من عالمك شعرت ان هناك الكثير لم اعلمه عنك.

وفجأة طوقت رقبته بذراعيها وتعلقت به بشدة وفى عينيها امارات الرعب.

باسل بفزع:

-ماذا بك؟

ميرال وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة:

-سحلية مرت بالقرب من قدمى.

باسل ناظرا إلى الأرض:

-انها صغيرة وغير مؤذية لا تقلقى.

ميرال بضيق:

-أنا اكره الزواحف.

باسل بدهشة:

-هذا ليس كره،هذا خوف مرضى.

ميرال بضيق:

-أنا لست مريضة.

باسل بحزم:

-مريضة وسأعالجك.

ميرال بتعجب:

-كيف؟
باسل بهدوء:
-بما أنك قريبة جدا منى واسمع دقات قلبك.
ثم سكت لحظات وطبع قبلة هادئة على شفتيها.
اضطربت ميرال وابتعدت عنه:
-ماذا فعلت للتو؟
باسل غامزا:
-رجل مسكين مثلى يجد فتاة جميلة مثلك متعلقة به لأنها خائفة،ألا يجب عليه ان يطمئنها.
ميرال بخجل:
-نحن في مكان عام.
باسل ضاحكا:
-نعم وليس معى قسيمة الزواج الآن واردف :
-ما رأيك ان نكمل الليلة في بيتنا؟
ميرال ضاحكة:
-على الأقل لا توجد سحلية هناك.
باسل ضاحكا:
-لو كنت اعلم أنك تكونين جميلة هكذا حينما ترين السحلية لأشتريت واحدة لنا في لندن.

سبقته ميرال إلى السيارة قائلة:
-سامحك الله، باسل
مرت إجازة باسل وميرال في القاهرة بهدوء وتحسنت حالة خالد تدريجيا،و لم تقابل ميرال والديها حيث سافرا إلى ماليزيا قبل أيام من وصولها القاهرة لحضور أحد المؤتمرات عن الأديان.
قرر باسل تحديد موعد العودة إلى لندن وحجز تذاكر الطيران ثم عاد للبيت ليطمئن على ميرال التي تركها نائمة في الصباح ولم يريد ان يزعجها.
حينما دخل البيت سأل عن ميرال فأخبرته والدته انها في الحديقة،وجدها تطالع باهتمام احدى الصور
باسل:
-تبدو صورة مهمة؟!
ميرال:
-صورة لك مع خالد.
باسل:
-خالد اخى وصديقى ورفيق عمرى.من أين حصلت على هذه الصورة؟
ميرال:

-سألت والدتك عنها.
باسل :
-تريدين ان تعرفى كم كنت طفلا وسيما.
ميرال ضاحكة:
-أردت ان اتعرف على حياة الطفل المشاغب الموجود بداخلك.
-الطفل المشاغب فقط!
ميرال بهدوء:
-على الرغم من ان اخاك خالد يكبرك بثلاثة أعوام أنك متعلق به جدا،الكوابيس التي لازمتك في لندن كانت قلقا عليه وخوفا على مصيره.
الحب الذي كفرت به وفررت منه لأنك رأيته طوقا اختنق به عنق اخيك منذ زمن.
باسل:
-حتى انى ظننت ان حبى لك سيتحوذ علي ويتحكم في كما حدث لخالد.
ولاتنسى أنك اتخذتى ما حدث لصديقتك ليلى على انه قاعدة وكل الرجال محبطون أنانيون،وكفرت أنتِ أيضا بالحب.

ميرال:
-دعك من الماضى يكفينا ما مر من الأيام والليالى.
باسل مقبلا يديها:
-لدينا فرصة لنبدأ من جديد بكل الامل والتفاؤل.
وضمها إلى صدره هامسا بحب:
عيناك ليالٍ صيفية
ورؤىً وقصائد وردية
ورسائل حبٍ هاربةٌ
من كتبِ الشوقِ المنسيةْ

في اليوم التالى اعدوا حقائبهم وتوجهوا إلى مطار القاهرة عائدين إلى عاصمة الضباب ،اوصلهم نبيل بسيارته وودعهم بحرارة
نبيل:
-احسنت الاختيار يا ولدي،ميرال انسانة طيبة وتحبك كثيرا،حافظ عليها .
باسل بحب:
-ادعو الله لنا بالبركة والذرية الصالحة.

وانطلقت الطائرة في رحلة تستغرق حوالى خمس ساعات ونصف،بعد حوالى ساعة من اقلاع الطائرة بدأت ميرال تشعر بالدوار وتقيأت عدة مرات

باسل بقلق:

-أنت متعبة للغاية في هذه الرحلة.

ميرال بضعف:

-الدوار شديد هذه المرة وليس معى أي ادوية.

فتح باسل حقيبته الصغيرة التي ترافقه دوما

-وجدت امبول دواء مضاد للقئ ولحسن حظك توجد سرنجة أيضا.

ميرال بخوف:

-لا احب الحقن،سأتحسن عندما نصل لندن.

باسل باصرار:

-اذا استمريت على هذا الحال ستصابين بالجفاف قبل ان نصل.

ميرال:

-كيف اخذ الحقنة في الطائرة؟!

باسل بهدوء:

-لا تقلقى،اعلى الذراع مكان مناسب.

ميرال بخوف:
-ستكون مؤلمة.
باسل:
-حبيبتى،هل تخافين وأنا معك!!
ميرال باستسلام:
-لا يا باسل.
أسندت رأسها على كتفه بعد ان أعطاها الحقنة
ميرال بضعف:
-دوما تحمل معك الدواء حينما احتاجه.
باسل بحب:
-وكيف لا احمل الدواء لمن وجودها في قلبى دواء.
ميرال :
-هل ستظل تحبنى؟!
باسل بحب:
-متى يتوقف القلب عن دقاته؟
نظرت إليه ميرال بسعادة والقت بنفسها بين ذراعيه
باسل بهمس:
-أين كنتى منذ زمن؟
ميرال وهي تتثائب:

-كنت اعد قلبى للقائك.
باسل مربتا على كتفها:
-حسنا ما فعلت.
ونامت في هدوء بعد ان تحسنت حالتها مع الدواء حتى وصلوا إلى لندن وتوجهوا لمنزلهم.
باسل:
-استريحى الليلة وأنا سأفرغ الحقائب وارتب الأشياء.
ميرال:
-أنا بخير الآن.
باسل بحسم:
-استريحى الليلة،ينتظرك الكثير غدا.
ميرال باستسلام:
-حسنا.
في صباح اليوم التالى استيقظ باسل على صوت انينها
باسل بفزع:
-ماذا بك؟
ميرال بألم:

-عاد الدوار والقئ مرة أخرى.
باسل بقلق:
-لم تتناولى أي طعام منذ الامس،لابد وان ضغط الدم منخفض وكذلك مستوى السكر في الدم،سأشترى لك بعض الدواء الآن حتى تتناولى الطعام.
تحسنت قليلا بعد تناول الدواء وقامت لتغير ثيابها لتتوجه إلى المشفى.
باسل:
-اعددت لك فطور بسيط،خبز،بيض،لبن.
ابتعدت ميرال عن الطعام:
-رائحة الطعام تصيبنى بالغثيان.
نظر إليها باسل في قلق:
-أنتِ بحاجة لبعض الفحوصات سننهيها أولا قبل ان تبدأى بعملك.
ميرال باستسلام:
-حسنا.
بعد انهى باسل عمله توجه إلى قسم النساء والولادة ليطمئن على ميرال

وجدها تجلس وحدها في هدوء تراجع ملفات المرضى
باسل وعلى وجهه علامات الضيق:
-كيف حالك؟
-بخير والحمد لله.
نظرت ميرال إلى ملف الفحوصات الذي يحمله في بيده
ميرال بخوف:
-باسل،هل هناك مشكلة في التحاليل؟
احتضنها باسل بقوة وهمس بأذنها:
-اختبار الحمل ايجابى.
ميرال بسعادة:
-حقا،لم تخبرنى وأنت تأخد عينة الدم في الصباح أنك ستجرى اختبار حمل.
باسل:
-أنت طبيبة نسا وولادة،ظننتك تعرفين وتنتظرين التأكيد.
ميرال:
-ولماذا ظهر عليك الضيق في البداية؟

باسل ضاحكا:
-أردت اختبار رد فعلك.
ابتعدت ميرال عنه وعادت إلى مكتبها
-سامحك الله،كاد قلبى يتوقف.
باسل وهو يرتب معها ملفات المرضى:
-معك جراح قلب وصدر،لا تخافى.
ميرال وهي تغلق ادراج المكتب:
-أنت الأمان ل رولا.
باسل غامزا:
-لابد ان نعود إلى بيتنا حالا لو بقينا هنا سيحدث مالا تحمد عقباه.
ميرال ضاحكة:
-سنحتفل.
باسل:
-احتفالا يليق بأميرتى.

مع قرب الغروب في صفاقس التونسية وعلى أحد الشواطئ المطلة على خليج قابس المتفرع من البحر المتوسط،جلس بدر على رمال الشاطئ يتأمل رحلة حياته..اهله..دراسته..مرضه..لورين حبه

الوحيد..الحب الذي ضاع من بين يديه..لورين التي ابعدها عن حياته بمحض ارادته حتى فقدها ولم يعد قادرا على استرجاعها..يعرفها جيدا مهما كان حبه في قلبها عظيما الا ان كرامتها تأبى ان تعود إلى رجل أقصاها من حياته متعمدا.

حتى ظهرت شذى ابنه عمه في مواجهته لتخرجه من تأملاته.

شذى:

-لماذا تجلس وحدك؟

بدر:

-كيف عرفتى مكانى؟

شذى:

-أنا ابحث عنك منذ زمن،ولكنك لا تشعر بى.

بدر بضيق:

- شذى،أنا.....

شذى مقاطعة إياه:

-احبك يا بدر،احبك حتى قبل زواجك من لورين،احبك واعلم أنك لم ترانى يوما حبيبة.

بدر:

-لن اكذب عليك او اخدعك،أنا لم احب في حياتى الا لورين.
شذى:
-ولكنها فضلت عملها في لندن على الحياة معك في تونس.
بدر بضيق:
- أنتِ لا تعلمين شيئا.
شذى:
-الى متى ستظل تنتظرها؟
بدر:
-ارجوكى لا شأن لك بعلاقتى ب لورين.
شذى:
-يوما ما ستنساها يا بدر.
ولكن بدر نهض من مكانه ليبتعد عن شذى ولكنه اصطدم بشخص واقفا بظهره بالقرب من المظلة التي كان جالسا تحتها.
بدر:
-اعتذر اليك،لم انتبه.

لا داعى للاعتذار،انتبه فجأة لنبرة
صوتها..مستحيل..
بدر بدهشة:
-لورين؟!!
لورين وهي تزيح نظارتها السوداء:
-لم تتخيل مجيئى اليك ام لم ترغبه؟
بدر:
-لم أتمنى الا بقائك معى والى جانبي.
لورين:
-بدر...أنا...
ضمها بين ذراعيه هامسا:
-ما جمعنا يوما لم يكن حبا عابرا يمكن ان ينهيه الزمن او تمحوه الأيام..جزء من روحك يسكن في داخلى،يجعلنى اتمسك بالحياة،يلون أيامى،يضئ ليالى.
لورين بدموع:
-لا ترحل عنى ..لا تتركنى وحدى في هذا العالم.
بدر:
-كما كتب الله لنا اللقاء ثانية،ان شاء الله لن يفرقنا.

تعال معى الآن.
لورين بدهشة:
-الى اين ؟
بدر بحماس:
-الى المأذون،لن تنقضى هذه الليلة الا وأنت زوجتى.
لورين:
-ودراستى في لندن.
بدر بحب:
-حتى لو قررتى الدراسة في المريخ،سأرافقك ان شاء الله.
لورين بسعادة:
-احبك.
بدر غامزا:
-سأعبر عن حبى لك بطريقتى.

الفصل الثانى عشر
حبك فى قلبى

وحبك في قلبى نبتة غرست جذورها في اعماقه ما عادت تؤثر فيها رياح الغضب

بعد انهى شريف عمله صعد إلى سطح المشفى ليستمتع بالهواء المنعش والمشهد الجميل لمونتريال ليلا،نسمات الهواء المنعشة تداعب وجهه تثير في قلبه الحنين ل طيفها الذي لا يفارقه واخذ يغنى:

بعدك على بالي

يا قمر الحلوين

يازهرة تشرين

يا دهب الغالي

بعدك على بالي

يا حلو يا مغرور

يا حبق ومنتور

على سطح العالي

مَرَق الصيف بْمَوَاعيدو

والهوى لَمْلَمْ عَنَاقِيدو

وما عرفنا خَبَرْ

عنّك يا قَمَرْ

ولا حدا لوّح لِنَا بإيدو

بتطلّ الليالي

وبتروح الليالي

وبعدك على بالي على بالي
-حادثها ياشريف.
هكذا اخترق صوت زميله شهاب عزلته،ليعيد روحه التي حلقت عاليا إلى الأرض مرة أخرى.
شريف بدهشة:
-من هي؟!
شهاب :
-من تغنى لأجلها.
شريف بيأس:
-مر اسبوعان ولم تحادثنى،ربما لاتفكر في.
شهاب بحسم:
-ولكنك تفكر فيها،حادثها يا رجل ولاتتردد.
قام شريف باستسلام وفتح بريده الالكترونى ينوى محادثتها ولكنه فوجى برسالة منها:
شريف،كيف حالك؟
أتمنى ان تكون بخير
ربما أنت منشغل بأعمالك في مونتريال ولكني أردت الاطمنئان عليك.
أنا وروفان بخير والحمد لله

حينما يسمح وقتك طمئنى على احوالك.

ليرد عليها شريف برسالته:
اشتقتُ إليكَ.. فعلِّمني ألا أشتاق
علِّمني كيفَ أقُصُّ جذورَ هواكَ من الأعماق
علِّمني كيف تموتُ الدمعةُ في الأحداق
علِّمني كيفَ يموتُ القلبُ وتنتحرُ الأشواق
فتحت اريج رسالته وقلبها يخفق بشدة ونفسها تحدثها
ترى ماذا كتب؟
عندما قرأت الرسالة احتضنت هاتفها بحب وهي
تهمس لنفسها:
-لا مفر من الاعتراف،أنا أيضا اشتقت إليه كثيرا.
كيف ترد على رسالته؟
قررت ان ترد برسالة فيها رمز الابتسامة وفقط
ظل شريف يراجع نفسه في صمت حتى اقترب من
زميله شهاب.
شهاب:

-أتعرف اجمل ما في الحب،شريف؟
شريف بدهشة:
-نعم!!
-الشجاعة في الاعتراف به،لماذا نلوم انفسنا على مشاعر صادقة غزت قلوبنا؟
لماذا ننكرها ونتهرب منها كأنها عدو يطاردنا؟
اعترف بمشاعرك الصادقة..ناقشها..فكر كيف تعبر عنها.
-شهاب..أنا...
قاطعه شهاب:
-عيناك مرآتان لما يدور بقلبك.
قاطعهم صوت الهاتف معلنا وصول رسالة جديدة
فتح شريف الرسالة ليجدها تحمل ابتسامة وفقط.
ابتسم شريف بسعادة وارسل إليها:
-اريج ارسلى لى رقم هاتفك
لا الأفضل ان اهاتف ياسر ووالدك أولا.
بل الأفضل من ذلك عنوان بيت والدك في الامارات.

فتحت اريج رسالته وقلبها يرقص فرحا ولكنها قررت مراوغته وكتبت له:

-ولماذا كل هذه الهواتف والعناوين؟!

قرأ شريف رسالتها وقرر مجاراتها:

-اسألهم عن مشفى مناسب في الامارات.

شعرت اريج بالضيق وهمست في نفسها مشفى!!

ولكنها أرسلت إليه:

-والدى ليس طبيب.

رد عليها:

-أعلم ولكن عنده المفتاح لدواء قلب صديقى المريض.

أرسلت له:

-مساعدة الناس واجبة.

رد عليها:

-وأنتِ خير من يقوم بالواجب.

ابلغ شريف هاتفيا عاصم وعلياء برغبته في الزواج من اريج ولكن علياء رفضت بشدة

علياء بغضب:

-لماذا تتزوج من ارملة لديها طفلة؟!
شريف بهدوء:
-احبها يا أمي منذ كنا أطفالا في الامارات.
علياء:
-يمكنك ان تحب امرأة أخرى تناسبك.
شريف باصرار:
-أنا اعلم أنك تحبيننى ولا يهمك سوى سعادتى،وأنا احب اريج،ابنتها طفلة يتيمة.
ألم تكفلى يتيما يوما وترضعيه حبك وحنانك وعطفك؟
علياء بدموع:
-لطالما لمست قلبى بكلماتك،لا اريد في الدنيا سوى سعادتك أنت وميرال.
شريف ضاحكا:
-اعلم ان أبي عاصم لن يذهب ليتم زواجى الا بموافقتك،اعلنيها يا امى.
علياء بحب:
-بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير.
التقط عاصم الهاتف:

-مبارك عل حبيبى،ارسل إلى هاتف والدها وعنوانه وسنحدد موعد لزيارتهم.

بعد ان تحدد موعد سفره للامارات قرر شريف محادثة ميرال عبر سكايب واخبارها بالتفاصيل.

ميرال بدهشة:

-صدق باسل ،كل هذا كنت تخفيه عنى أختك حبيبتك،صار لى شريكا في قلبك.

شريف ضاحكا:

-كنت مشغولة بصحة باسل بعد الحادث وأردت الا ازعجك باخبارى.

لوح باسل بيده عبر شاشة الهاتف:

-مرحبا بك يا رجل،اين اختفيت؟

ميرال ضاحكة:

-من وجد احبابه...

باسل ضاحكا:

-اياك ان تغضب حبيبتى.

شريف:

-وحبيبتى أنا أيضا.

ميرال:

-اريج تستحوذ على قلبك منذ زمن ولم تخبرنى.
باسل:
-اسمها اريج.
ميرال:
-سأقص عليك تفاصيل قصة حبه.
باسل بدهشة:
-قصة حب!! وأنا أقول أنك منشغل بدراساتك وابحاثك في كندا.
شريف ضاحكا:
-لا تسئ الظن بى، باسل.
ميرال غامزة:
-قصة حب منذ الطفولة.
باسل:
-أيها العاشق الولهان،هل ستدعونا لزفافك نحن الثلاثة؟
شريف بدهشة:
-الثلاثة!!
باسل:
-نحن في انتظار ولى العهد.

شريف بسعادة:
-مبارك عليكم،اسعدكم الله به وبارك فيه.
حبيبتى رولا اهتمى بصحتك كثيرا
باسل لاترهقها بطلبات البيت،ساعدها ولا تتأخر عنها.
ميرال ضاحكة:
-لا تقلق أنا بخير وباسل يعتنى بى جيدا.
شريف:
-احضر لها كل ماتشتهى،حتى لو لم يكن موجودا في أوروبا كلها.
باسل ضاحكا:
-الى الآن كل طلباتها سهلة وميسورة.
ميرال:
-اريد ان أرى اريج.
شريف:
-هي تدرس في لندن الآن،سأعطيها عنوانك وارتب لقاء لكما.
باسل:
-اين ستقيم حفل الزفاف؟

ميرال:
-ما رأيك هنا في لندن؟
شريف بتفكر:
-لندن خيار مناسب،خاصة ان اريج مقيمة في لندن هذه الفترة وأنتِ لايمكنك السفر خارج إنجلترا حتى نهاية الحمل ولا يمكن ان أقيم زفافى دون حضورك.
ميرال بحب:
-بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير.
بعد شهر تم عقد القران في مسجد ريجنت بارك في لندن بحضور علياء وعاصم ووالد اريج ووالدتها واخيها وميرال وباسل.
ميرال بسعادة:
-مبارك عليك، اريج.
اريج:
-بارك الله فيك واتم حملك بخير.
باسل غامزا:
-شريف،سنغادر الآن،حجزت لك في الفندق الذي طلبته.
شريف بامتنان:

-شكرا لك،اعتنى بميرال.
اصطحب شريف اريج للعشاء في أحد الفنادق المطلة على نهر التايمز.
شريف بحب:
-أريج.
اريج بخجل:
-نعم.
-سأطلب لك الطعام الذي كنت تفضلينه حينما يعزمنا آسر.
-وهل لازلت تذكره؟
احتضن شريف كفيها بيديه وهمس قائلا:
-لم انساه يوما.
اريج بخجل:
-شريف..أنا..
-ارجوك تكلمى ولا تترددى.
-أنا اثق بك.
طبع قبلة رقيقة على كفيها وهمس قائلا:
-**فقط!!**
-واشعر بالأمان وأنا معك.

-اريج الصغيرة التي احببتها يوما،كانت تنهى طعامها على عجل وتطلب المشى في الهواء الطلق.
اريج بسعادة:
-لم تنسى شيئا.
احتضن كفها وقاما يتجولان في ممشى قريب من الفندق.
اريج بشرود:
-لم اكن أتصور ان نلتقى ثانية.
شريف:
-أحيانا كنت أرى طيفك في احلامى،ولكنه طيف بعيد.
-والآن.
ضمها شريف بين ذراعيه وهمس قائلا:
- علّمني حبّك
كيف الحبّ يُغيّر خارطة الأزمان
علّمني أنّي حين أحبّ تكفّ الأرض عن الدّوران
علّمني حبّك أشياءً ما كانت أبداً في الحسبان
اريج بحب:
-حبيبى صار حكيما بالقلوب وشاعرا.

شريف:
-اعيديها ثانية.
اريج بتعجب:
-حكيما بالقلوب وشاعرا.
شريف:
-يا معذبتى.
اريج :
-ابعد الله عنك العذاب.
سكت شريف لدقائق ووجه بصره نحو نهر التايمز.
اريج بقلق:
-شريف،هل أنت بخير؟
شريف بشرود:
-نعم.
لماذا لا تعبرلك عن مشاعرها بصدق كما تعبر أنت؟
لماذا لا تشعر بتدفق مشاعرها تجاهك؟
أنت تعلم انها تحبك ولكن لماذا تعبيرها متحفظ هكذا؟

تتردد هذه الخواطر بداخل شريف ويحاول ان ينساها او يغفلها ولكنها تسرق متعة لحظاته مع اريج.

بعد حفل زفاف هادئ في أحد الفنادق في لندن سافر العروسان إلى مونتريال في كندا لقضاء شهر العسل ثم بدء حياة جديدة هناك.

مرت الأيام وقدمت اريج أوراق الدراسات العليا في احدى الجامعات في مونتريال وانتظمت في دراستها بينما عاد شريف لاستكمال منحته الدراسية.

وفى أحد الأيام دخل شريف إلى غرفته بعد يوم عمل طويل،وجد حقيبة صغيرة مفتوحة على السرير،نظر في محتويات الحقيبة واصابته الدهشة لما وجد.

انها صور ل اريج بصحبة رجل يبدو انه مازن زوجها السابق ولكن لماذا تحتفظ بهذه الصور في بيته؟

وجد بجانب هذه الصور،دفتر صغير ملون،فتحته
واخذ يتجول بين صفحاته حتى وقعت عيناه على
آخر ماكتبت:
وليس كل من مروا بحياتي يوما حب،ولكن ربما هي
الحاجة،الحاجة إلى السند..الحماية..الدعم.
تحقق شريف من التاريخ المكتوب،قبل أيام من عقد
قرانهم،شعر وكأن سهما غرس بقلبه وكأن روحه
تختنق،صرخ بأعلى صوته..اريج.
فزعت اريج على صراخ شريف وتركت طعام
العشاء على الموقد وجرت إلى غرفتهم.
اريج بقلق:
-ما بك؟لماذا ترفع صوتك؟
شريف بغضب وعيناه كشعلتين من النار:
-ما هذا يا هانم؟
نظرت اريج بفزع إلى الصور والى الصفحة
الأخيرة من مذكراتها،شعرت وكأن قلبها سقط تحت
قدميها
اريج بارتباك:
-شريف..أنا...

قاطعها بغضب:
-أنا لاشئ في حياتك،تحتفظى في بيتى بصور
زوجك الراحل وتكتبين قبل أيام من زواجنا أنك لا
تبحثين عن الحب وانما الحماية والدعم،حينما جاءك
انسان يحبك بصدق ومستعد للتضحية بحياته من
أجلك أنتِ وابنتك،وجدته شخص مناسب لتقديم
الحماية والدعم ورغم تأكدك من حبه لك بخلت عليه
بمبادلته بالحب،حتى لم تفكرى ان تجامليه بحبك او
تحافظى على مشاعره ولكن أنتِ اردتى الحماية
والدعم لا الحب وأنا رجل لا يمكن ان يعيش مع
امرأة لاتحبه،ستبقين في هذا البيت مع روفان وأنا
سأرحل عنه وتستمرى في دراستك ولك كامل
النفقات.
جمع شريف حقيبة ملابسه وترك الغرفة متجها إلى
باب الشقة للمغادرة ولكن اريج تعلقت به وهي تبكى
بانهيار:
-شريف،اسمعنى ارجوك،اعطنى فرصة للكلام،لا
تتركنى.
شريف بغضب:

-أرجوك أنتِ ابتعدى عن طريقى،لم أؤذِ امرأة في حياتى
وأكمل ساخرا
فمابالك لو كانت زوجتى؟
اريج بتوسل:
-عاقبنى أنا مخطئة ولكن لا تتركنى.
نظر إليها شريف بألم وابعد ذراعها عنه وتركها ورحل.
جلست اريج ارضا تبكى بانهيار حتى استقيظت روفان على صوتها وخرجت من حجرتها إليها،احتضنت ابنتها واستمرت بالبكاء حتى تنبهت لرائحة شيء يحترق،انه طعام العشاء.
سبعة أيام مرت منذ أن رحل شريف عن البيت،دموعها لا تجف تفتقده بشدة ولكنه لا يجيب على اتصالاتها.
منذ أن عرفت شريف وهم أطفال وهو طفل جميل متسامح لأبعد الحدود لكن غضبه شديد.

شريف من الشخصيات التي لا تحب تراكم المواقف السيئة بداخلها حينما يغضب منك،يصارحك،ولكنه حينما يحب يؤثر الصمت.

إن كانت تفهمه هكذا لماذا اغضبته؟

متى سيعود؟

قلبها لم يعد يتحمل الانتظار،ظلت تفكر حتى اتخذت قرارها.

كان شريف ينهى مراجعة سجلات المرضى ويراجع الفحوصات،ولكنه شرد قليلا يفكر في الاسبوع الماضى الذي قضاه في أحد الفنادق القريبةمن المشفى،ترى كيف حال اريج وروفان؟

قلبه يسأله:

- إذا لم ترد على اتصالاتها؟

وعقله يجيب:

_لا أريد

ويكرر القلب سؤاله:

_لماذا؟

ليقطع صوت الهاتف حديثهما معلنا وصول رسالة،فتح شريف الرسالة ليجدها:

حبيبى شريف
ويعلم الله صدق ما أقول
كيف تمكنت من فراقى سبع ليال؟
ما جدوى الحياة بعد أن يفارقنا من نحب،ان كنت قد اخترت فراقا فلك ما أردت
ومن المكان الذي شهد ميلاد حياتى معك ساودع هذه الحياة
أريج
شعر شريف بقبضة في صدره وتوجه مسرعا إلى شقته للاطمئنان على اريج وروفان
قاد سيارته والقلق لا يفارق عقله حتى وصل إلى شقته فتح الباب بالمفتاح ودلف إلى الداخل ولكن الشقة هادئة والأنوار مغلقة ولا يوجد أحد
وما أن خرج من بيته مترددا إلى أين يذهب حتى فتحت جارتها المغربية باب شقتها:
-مرحبا دكتور شريف،كيف حالك؟
-بخير والحمد لله،هل رأيت اريج زوجتى اليوم؟
-نعم منذ قليل،تركت روفان بصحبتى وخرجت.

شريف بصدمة:
-لم تخبرك إلى أي مكان ستذهب؟
-لا.
-شكرا لك.
تركها ونزل مسرعا إلى سيارته لا يدرى إلى ذهبت ولكن كلمات رسالتها ترددت في ذهنه:
(مكان ميلاد حياتى معك وساودعها هناك)
خفق قلبه بشدة وشعر بأن نفسه يضيق ولكنه انطلق مسرعا إلى وجهته.
برج الساعة في ميناء مونتريال القديم،هذا الميناء الممتد لأكثر من كيلومترين على طول نهر سانت لورنس،احد المعالم التاريخية في كندا.
وقفت اريج تتذكر كيف بدأت حياتها في كندا منذ ثلاثة اشهر حينما وصلوا إلى مونتريال واصطحبها شريف إلى هذا المكان وظلت تنظر إلى الصورة التي التقطت لهم في ذلك اليوم، شريف يقف خلفها محتضنا خصرها وابتسامة تشع حب وحنان تسكن قلوبهم، وكلماته الهامسة تخترق قلبها:
إنّي عشِقْتُكِ.. واتَّخذْتُ قَراري

فلِمَنْ أُقدِّمُ - يا تُرى - أَعْذَاري
لا سلطةً في الحُبِّ.. تعلو سُلْطتي
فالرأيُ رأيي.. والخيارُ خِياري
هذه أحاسيسي.. فلا تتدخَّلي أرجوكِ،
بين البَحْرِ والبَحَّارِ..
ظلِّي على أرض الحياد.. فإنَّني
سأزيدُ إصراراً على إصرارِ
ماذا أَخافُ؟ أنا الشّرائعُ كلُّها
وأنا المحيطُ.. وأنتِ من أنهاري
انسابت الدموع على وجنتيها وظلت تسأل نفسها
متى سيأتى شريف وهل سيأتى أصلا؟ هل فهم
رسالتها؟

وصل شريف إلى برج الساعة في الميناء القديم
وقلبه يدعو الله أن يحفظها ويردها إلى صوابها
أخذ يبحث عنها بعينيه حتى وجدها تستند بظهرها
على حافة السور المعدنى المطل على نهر سانت
لورنس،تحرك في اتجاهها هاتفا باسمها اريج
التفتت إليه قائلة:

- الحمد الله أنك آخر وجه أراه بهذه الدنيا
شكرا على كل لحظة حلوة عشتها معك
اقترب منها ولكنها ابتعدت وهي تحذره:
_أرجوك لا تقترب،سألقى بنفسى في النهر.
شريف برجاء :
_ أرجوكِ أنتِ فكرى بروفان.
اريج بدموع :
_ اعتنى بها.
غافلها شريف باقتراب مفاجئ وامسك بيدها
-يدك باردة جدا.
نظرت إليه والدموع تغرق وجنتيها ولكنه جذبها إليه بسرعة وما إن صارت بين ذراعيه حتى سقطت مغشيا عليها.
جلس إلى جوارها يتأمل ملامح وجهها الساكنة، هل بالغت برد فعلها على تصرفه أم هي مضطربة
الأطباء اخبروه أن سبب الإغماء نقص مستوى السكر في الدم،لون جلدها شاحب يبدو انها لم تتناول طعامها منذ أيام،نفسه لا تكف عن لومه أنت بالغت بغضبك وهي بالغت برد فعلها،ليست وحدها

المخطيءة هو سبقها بالخطأ،وسبب خطؤه هو
شعوره بأنها تبتعد عنه ثم يفاجئ بأنها في الوقت
الذي تبتعد عنه تقترب من ذكريات شخص آخر.
بدأت تسترد وعيها تدريجيا وتنادي شريف
شريف مطمئنا لها:
_أنا هنا معك.
اريج بضعف:
_روفان.
شريف:
_بخير عند جارتنا المغربية.
اريج:
_أريد أن أخبرك بأمر هل ستسمعنى؟
-حينما تتحسن حالتك ساسمعك.
-لا زلت غاضب منى.
-لا الوقت ولا المكان مناسب لهذا الكلام.
اومأت اريج برأسها في صمت واستسلمت للنوم.
في اليوم التالى طمأن الأطباء شريف على حالتها
وطلب شريف خروجها لاستكمال علاجها
بالبيت،حتى يتمكن من رعاية روفان أيضا.

عندما وصلوا إلى مسكنهم،اسند شريف اريج حتى اوصلها لغرفتها وهم بتركها ولكنها تعلقت بيديه:

-شريف،ارجوك اسمعنى.

جلس شريف على الكرسى المقابل للسريرونظر إليها بتمعن:

-تفضلى،اسمعك.

اريج:

-اعتذر اليك عن احتفاظى بصور والد روفان،لم اقصد جرح مشاعرك بوجود هذه الصور هنا.

شريف بهدوء:

-مازن سيبقى والد روفان ومن حق ابنته ان ترى صور ابيها.

-اما عن الكلمات في المفكرة،هل اطلعت على ما قلبى؟ هل تعلم ظروف زواجى بمازن؟

أراد والدى تزويجى من ابن عمى،كان يرى ذلك حفاظا على أملاك العائلة ولكني لم اكن راضية عن تلك الزيجة،في الوقت نفسه تعرفت على مازن في شركة التصميم والديكور التي كنت اعمل بها،كان مهندسا خلوقا طلب منى الزواج بعد شهر من عملنا

معا،وافقت عليه وتمسكت به هربا من ابن عمى
ويسر الله زواجنا ومضت حياتى معه حتى وفاته
رحمه الله،قبل أيام من عقد قراننا جلست اتأمل
حياتى وكيف جمعنا القدر من جديد وكتبت الخاطرة.
هل تصدقنى الآن؟
سكت شريف وترك الغرفة خارجا إلى المطبخ،بقيت
اريج في غرفتها تنتظره ان يعود ولكنه تأخر.
دخلت اريج إلى المطبخ لتجده يجهز شوربة الخضار
مع الدجاج.
اريج بدهشة:
-ماذا تفعل؟
شريف بهدوء:
-كما ترين.
-هل تجيد الطبخ؟
-زوجتى مريضة .ألا يجب على ان اعتنى بها؟
اريج بدلال:
-زوجتك فقط.
نظر إليها شريف وقد فهم ما ترمى إليه:
-ويمكن ان تكون حبيبتى ورفيقتى ان ارادت.

احتضنته اريج والقت برأسها على صدره:
-أنت حبيبها ورفيقها.
احاطها شريف بذراعيه:
-قلبه الذي يصدقك ويثق فيك لا يملك الا ان يحبك.
اريج ضاحكة:
-طعام حبيبتك يكاد يحترق.
انتبه شريف إلى الطعام على الموقد وأطفأ النار وجهز المائدة.
نظرت إليه اريج بحب:
-أنا مريضة واحتاج من يطعمنى بيده.
شريف ضاحكا:
-حتى تتحسن حالتك.
اريج:
-أين روفان؟
-جارتنا المغربية أصرت على بقاءها الليلة حتى تتحسن حالتك.
-انسانة طيبة،جزاها الله خيرا.
-اهتمى بصحتك.
-وجودك جانبي يحسن صحتى.

-وأنا معك والى جانبك.
-اكرر اعتذارى لك.
-اريد ان اسألك هل حقا كنتى ستلقى بنفسك في النهر؟
-أتريد الحقيقة؟
-ولا شيء اخر.
اقتربت منه اريج وطبعت قبلة خاطفة على وجنته وقالت بحب:
-هذه هي الحقيقة.
شريف:
-تجيدين المراوغة.
-وأنت تجيد الحب والحنان والاحتواء.
شريف:
-ما دفعنى لسوء الظن بك هو حبى لك.
اريج :
-سأتركُ للظنّ ما بعدهُ
ومن يكُ ذا ريبةٍ يسْتبنْ
فلا تَتْبَع الظن إن الظنون
تريكَ من الأمْرِ ما لم يكنْ

شريف بدهشة:
-أهذا أنتِ؟
اريج:
-رأيتك تحب الشعر وتعبر لى عن حبك بالقصائد،أفلا اتعلم بعض الابيات أناقشك بها.
شريف:
-حينما نتعلم ما يحبه رفقانا فهذا يعنى اننا...
قاطعته اريج:
-يعنى ان حبهم يحركنا في الحياة،حب قوى يصدقه القلب ويحترمه العقل.
احتضنها شريف بحب هامسا:
-اين كنت تخبئين هذه المواهب؟
اريج ضاحكة:
-لن اخبأ عليك شيء.

ظل باسل يتحرك في غرفته ذهابا وإيابا والقلق يرتسم على ملامحه.
عمار بضيق:
-قرابة النصف ساعة وأنت على هذه الحالة.

باسل:
-ميرال في الشهر السابع من حملها وتريد الاستمرار في العمل وحضور عمليات طويلة.
عمار:
-أليست حالتها مستقرة والجنين بخير.
باسل:
-ميرال حامل في توأم.
عمار بسعادة:
-ما شاء الله،اتم الله حملها بخير.
باسل:
-ميرال تتحامل على نفسها كثيرا،حتى لو شعرت باجهاد او الم،ستكمل عملها أنا اعرفها جيدا.
عمار:
-اهدأ، باسل،لن يصيبها الا ماكتب الله لها.
واصل باسل اعماله وعقله لم يتوقف عن القلق على ميرال،بعد انهى عمله توجه للاطمئنان عليها في مكتبها وبينما هو في طريقه إليها قابلها على الدرج المؤدى للطوارئ وهي مسرعة.
باسل:

-لماذا أنتِ مسرعة هكذا؟
ميرال:
-حالة حرجة في الطوارئ.
باسل:
-انتبهى لصحتك، سأتى معك.
توجه باسل معها إلى الطوارئ وبدأت تتعامل مع الحالة برفقة الأطباء زملائها وتوجهوا إلى العمليات،جلس باسل ينتظرها امام العمليات حتى خرجت وكانت الساعة قاربت على الواحدة صباحا.
باسل بضيق:
-كيف حال المريضة؟
جلست ميرال إلى جواره تلتقط أنفاسها:
-الحمد لله،تمت السيطرة على النزيف والعلامات الحيوية مستقرة.
باسل:
-كيف حالك أنتِ؟
-بخير الحمد لله.
-متأكدة !!!
-نعم.ما بك باسل؟

-لا شيء،غيرى ملابس العمليات وسأنتظرك بالسيارة.
-حسنا.
طوال الطريق من المشفى إلى البيت لم يتكلم باسل معها ولم ينظر إليها،كانت تعلم بأن صمته غضب،تملكها القلق من التفكير في ردة فعله الغاضبة ولكنها سكتت املا ان تمر العاصفة بهدوء.
دخلوا إلى شقتهم واغلق باسل الباب وجلس على اقرب مقعد وامسك بيدها قائلا:
-أريد ان أتكلم معك.
جلست ميرال على المقعد المجاور له وقد بدأت نبضات قلبها في التزايد قلقا مما سيقوله باسل:
-هي ليست حياتك وحدك،لكنها حياتى أنا والطفلين القادمين.
ميرال بضيق:
-أنت خائف على حياة اطفالك.
باسل رافعا صوته:
-ليسوا اطفالى بل اطفالك أيضا،ولاتنسى أنك بمجهودك هذا تعرضين حياتك أنتِ للخطر.

-باسل ارجوك لا ترفع صوتك.
-ماذا افعل لك كى تفهمين أنك تؤذين نفسك وتؤذينى معك؟
-أنا لم اؤذيك.
-أنتِ جزء منى ما يؤلمك يؤلمنى.
بدأت دموع ميرال تنساب على وجنتيها،احتضنها باسل واخذ يمسح دموعها ويربت على كتفها.
باسل بحنان:
-لن اسامح نفسى لو كنت سببا في هذه الدموع.
ميرال:
-أنا اسفة.
باسل:
-اعلم أنك تحبين عملك كجزء مهم في حياتك ولكنك جزء مهم في حياتى ومن واجبى الاهتمام به.
ميرال بابتسامة رقيقة وسط الدموع:
-لا يمكن أنام وأنت غاضب منى.
باسل بحب:
-نامى حبيبتى،لست غاضب.

مرت الأيام وميرال تحاول التوازن بين الاهتمام بعملها والاهتمام بصحتها حتى حدد الطبيب موعد الولادة قبل نهاية الشهر التاسع بأسبوعين خوفا من حدوث مضاعفات للأم او الأطفال.

تمت الولادة بسلام ودخل باسل يطمئن على صحة زوجته واطفاله.

باسل:

-حمدا لله على سلامتك حبيبتي.

ميرال بوهن:

-سلمك الله.كيف حال الأطفال؟

باسل:

-بخير،يشبهانك كثيرا.

-اريد رؤيتهما.

باسل:

-هناك أناس يودون رؤيتك أيضا.

فتح لها شاشة الهاتف وظهر شريف واريج على سكايب.

شريف:

-حمدا لله على سلامتك رولا.
ميرال بسعادة:
-حبيبى كيف حالك أنت واريج؟
اريج:
-نحن بخير،كلنا بخير،ماذا نويت تسمية التوأم؟
باسل متجها بالهاتف إلى سريرى الطفلين والتقط صورة لهما وأرسلها لشريف.
شريف:
-ماشاء الله اللهم بارك.
ميرال:
-اينور وايمن.
اريج:
-اختيارك ولا د.باسل.
باسل ضاحكا:
-اختيارها في هذه المرة.
ميرال بدهشة:
-هذه المرة!!
باسل :
-نعم أنا احب الأطفال.

شريف:
-سنكون معكم يوم السبوع ان شاء الله.
ميرال:
-سبوع في لندن!!!
اريج ضاحكة:
-سيكون مميزا.
في حضور مميز من الاهل والأصدقاء تجمع والد ميرال ووالدتها ووالد باسل ووالدته ،عمار واجوان،لورين وزوجها بدر،شريف واريج لحضور سبوع التوأم اينور وايمن
ميرال بسعادة:
-كيف احضرت كل هذه الأشياء باسل؟
شريف:
-حتى الاطباق المزينة لوضع الأطفال لم ينساها.
باسل:
-حتى لا تشعرين بالغربة والتوأم الجميل.
اريج:
-اعانك الله على حسن تربيتهما.

قامت ميرال ترحب بالحضور ولكنها شعرت بالدهشة حينما رأتها تقترب منها وتحتضنها

-ليلى حبيبتى،اشتقت اليك كثيرا

-حمدا لله على سلامتك وسلامة اطفالك يا غالية.

-كيف وصلتى وكيف عرفتى بالعنوان؟

-زياد لديه مؤتمر في لندن هذه الأيام ووجدتها فرصة لزيارتك والاطمئنان عليكى،العنوان طلبه زياد من د.باسل بالبريد الالكترونى وطلبنا منه الا يخبرك كى تبقى مفاجأة.

-أحلى مفاجأة.

باسل:

-وتتوالى المفاجأت.

دخل إلى غرفة الأطفال واحضر هون السبوع وخرج به الصالون،ضحك الجميع بدهشة عندما رأوا باسل يحمل هون مزين بالزهور وعليه اسمى اينور وايمن.

باسل بسعادة:

-سبوع مصري اصيل،لم احرمكم من شيء.

امسك شريف بالهون واخذ يغنى:

Listen to Miral,,Listen to Sherif..Do not -
to Basel.

ضحك باسل بشدة واخذ منه الهون:

-باسل هو الاخر يسمع كلام ميرال ،اسمعوه انتم أيضا.

ضحك الجميع وساد جو من الفرح والبهجة وامتلأت القلوب بالدفء بعيدا عن برودة الأجواء اللندنية المحيطة في ذلك الوقت.

بعد نهاية الاحتفال دخلت ميرال غرفتها لينام كل من الطفلين في سريره،تبعها باسل وابتسامة صافية تكسو وجهه.

ميرال بدلال:

-حبيبى.

باسل مقبلا يديها:

-الحمد لله الذي غرس حبك في قلبى.

تم بحمد الله

2017-12-1

سلام على المتفائلين وفى محاجر عيونهم دمعات مخبوءة،أولئك الذين قرروا المضي قدما نحو العمر ولو لم تحالفهم الخطوات.